قرية بلد الشيخ

نبيل محمود السهلي

الـكـتـاب: قرية بلد الشيخ
الـكـاتـب: نبيل محمود السهلي
الطبعة الأولى: أيار (مايو) ٢٠٠٨
كمية الطبع: ١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة

الناشر: دار الشجرة للنشر والتوزيع
✉ : ٣٤٤١٣ ✆ : ٦٣٢٠٧٧٥

التنضيد والإخراج الفني:

منـال ولـيد عنـيم

قرية بلد الشيخ

نبيل محمود السهلي

الإهداء

إلى أطفال قريتي،

لولا ذاكرة أجدادهم لما خرج هذا العمل إلى النور

المقدمة..

داري التـــي أغفـــت علـــى ربـــوة

حالمـــــة بـــــالمجد والفـــــار

«أبو سلمى»

فلسطين جنة الأرض، في بعض جنباتها نمت أيكة، زرعها وانزرع معها أناس طيبون، يتنفسون وأرضهم نسائم «بحر حيفا» الذي لا يبعد عن أسطحة بيوتهم أكثر من «نظرة عين».

قرية وادعة مطمئنة، عامرة بالخير ومسكونة بالحب وأدعية الصالحين. تعبق في أجوائها رائحة اجمل ما خلق الله من نبات وشجر وأزاهير، يتبرك أريجها بعبق بخور المزارات التي يهجع فيها الأولياء الصالحون، ومن بينهم شيخ الشهداء، عز الدين القسّام.

«بلد الشيخ»، يحنو عليها «الكرمل» ويلفها بعباءته الجليلة، ويعتصر لها من السحاب ماء لترتوي.

«بلد الشيخ»، شاقة الكرمل، لا تزال أجراس ضحكات أطفالها تضج في أنحائها، وتصل الأسماع والقلوب من مسافة خمسين عاماً وأكثر.

تنادي الضحكة صاحبها كي يعود لتنجو من خواء الصدى وتسكن صوته من جديد.. فهل يعود ؟

بحسب سنة الحياة، ليس وهماً ما قاله الشاعر إبراهيم طوقان:

سنرجع يوماً إلى حيّـنا ...

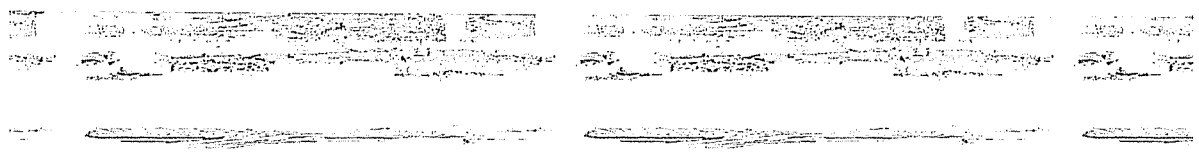

١ التسمية والموقع الجغرافي

تقع قرية بلد الشيخ في سهل حيفا، عند سطح الامتداد الشمالي الغربي لجبل الكرمل، وكان طريق حيفا ـ جنين العام يمر شرقيها، ومثله طريق سكة الحديد حيفا ـ سمخ الذي كان يبعد عنها نحو نصف كليومتر. وكان ثمة مدرج للطائرات في الطرف الشمالي من أراضي القرية، على بعد نحو كليومترين منها[١]، ويؤكد الباحث محمد توفيق السهلي من قرية بلد الشيخ أن تسمية القرية بهذا الاسم جاء نسبة إلى جد عائلة السهلي الشيخ سهل، وظلت القرية زمناً طويلاً يطلق عليها اسم بلد الشيخ سهل، ثم تمَّ اختصار التسمية مع مرور الزمن، فأصبحت تحمل اسم (بلد الشيخ) والنسبة إلى سهل هي سهلي بإضافة ياء النسبة، وبلد الشيخ هي القرية الوحيدة في فلسطين التي تبدأ بكلمة (بلد)... فنقول قرية (بلد الشيخ)، وكلمة (بلد) في حد ذاتها تعني (قرية).

وهناك مصادر أخرى ترجع تسمية القرية تيمناً بالشيخ الصوفي عبد الله السهلي، الذي منحه السلطات سليم الأول (حكم من سنة ١٥١٢ ـ ١٥٢٠) جبايات القرية في الأيام الأولى من الحكم العثماني في فلسطين. وفي سنة ١٨٥٩، زار إدوارد روجرز نائب القنصل البريطاني في حيفا، قرية بلد الشيخ، وذكر أن سكانها البالغ عددهم ٣٥٠ نسمة يزرعون ١٢ فداناً (الفدان ١٠٠ ـ ٢٥٠ دونماً). وقدر غيران (GUERIN)، وهو رحالة، عدد سكانها بنحو ٥٠٠ نسمة في عام ١٨٧٥، ورأى فيها أشجار الزيتون والنخيل وعدداً من الينابيع في جوار القرية[٢].

تقع قرية بلد الشيخ على بعد ٥ كيلو مترات، في جنوب شرق مدينة حيفا، في أدنى السفح الشمالي لجبل الكرمل قرب حافة مرج ابن عامر، على ارتفاع ١٠٠ متر عن سطح البحر، ويمر نهر المقطع بشرق وشمال شرق القرية على بعد يقل عن الكيلو مترين، وهو الحد الشمالي الشرقي لأراضيهما، وتبدأ أو تمر بأراضيها عدة أودية صغيرة تنتهي في مرج ابن عامر. وتكثر الأبار في أراضيها على طول حافة جبل الكرمل الدنيا، ويوجد خزان للماء على بعد ١,٢٥ كيلو متر من شمالها الغربي. [٣]

الامتداد العام للقرية هو من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، أي مع الامتداد العام

للسفح الذي تقع عليه، وهي من النوع المكتظ، وكان فيها ١٤٤ مسكناً في عام ١٩٣١ بني معظمها من الحجارة والإسمنت، وفي عام ١٩٤٥ بلغت مساحة المنطقة المبنية في القرية (٢٤١) دونماً، أي أنها كانت الثانية بين قرى قضاء حيفا من حيث المساحة، وبلغت مساحة أراضيها ٩٨٤٩ دونماً، ويقع نصف أراضيها في مرج ابن عامر والباقي في جبل الكرمل [٤].

وذكر كبار السن من أهل القرية خلال لقاء معهم في مخيم اليرموك تم يوم الخميس في الأول من حزيران عام ٢٠٠٠، أن سهل القرية وبساتينها تقع في شمال القرية، وإلى الشمال من السهل يقع معمل تكرير النفط الريفينري، وفي الشمال وعلى بعد ١٠ كيلو مترات تقع أيضاً قرى كفرتا وسعسع، كما يوجد إلى الشمال مطار بريطاني قديم، أما من الشرق فتوجد قرية الياجور ووادي الطبل، ومستعمرة نيشر التي بنيت على أرض القرية، ومعمل نيشر للاسمنت، وكذلك مستعمرة الهربج، وعلى بعد ٣٠ كيلو متراً إلى الشرق تقع مدينة جنين، وإلى الجنوب يمتد جبل الكرمل، وإلى الغرب من قرية بلد الشيخ تقع منطقة السعادة، ومن ثم حيفا [٥] التي كانت ترى من بيت الحاج رفعت السهلي، وبيت فوزي عبد الرحمن السهلي، وبيت حسن محمد علي السهلي (الشيخة)، وكذلك من بيت صالح أحمد السهلي، وغيرها من البيوت التي تعبق بنسمات البحر الصباحية. وبالنسبة لسكان القرية، فقد أشارت المصادر أن مجموعهم كان (٤٠٧) نسمة في عام ١٩٢٢، ارتفع إلى (٧٤٧) نسمة في عام ١٩٣١، ومن ثم وصل العدد نتيجة الزيادة الطبيعية وإقامة بعض العرب الفلسطينيين فيها، إلى ٤١٢٠ نسمة في عام ١٩٤٥ وكان في القرية مدرسة ابتدائية افتتحت منذ العهد العثماني، ومعصرة زيتون غير آلية، واعتمد اقتصادها على الزراعة، وتربية المواشي، وأهم المزروعات، الحبوب، والأشجار المثمرة، وفي موسم عام ١٩٤٢ و١٩٤٣ كان فيها ٤١٨ دونماً مزروعة زيتوناً مثمراً، تركزت زراعته في جنوب شرق القرية، وإلى جانب ذلك يعمل بعض سكان القرية في مدينة حيفا ومعمل مصفاة تكرير النفط [٦].

وفي الاتجاه نفسه يؤكد أهل القرية من كبار السن، بأن القرية كانت تقسم إلى ثلاث حارات تقع إلى شمال الجامع، وأول البيوت التي تقابل الجامع بيت علي سعيد السهلي، صالح أحمد السهلي، وحسين يونس السهلي، وعلي حسن السهلي، وبين المنازل حواكير يزرع فيها زراعات خفيفة، هذا فضلاً عن زراعات القرية الأساسية المتمثلة بالقمح والشعير والملفوف، والخس، والزيتون، حيث كان أهل القرية يستخدمون، بُلك، عبارة عن زوج خيل، يتم بواسطتها فلاحة الأرض ونثر البذار [٧]، وبالنسبة لمناخ القرية، فإن المناخ المتوسطي هو المناخ السائد، فالفصل الممطر يمتد عادة من تشرين الثاني حتى أواخر نيسان، وهناك أعوام يبدأ المطر فيها من تشرين أول وينتهي في أيار، ولا يأتي المطر في الغالب إلا إذا هبت الرياح العكسية، الريح الجنوبية الغربية، والتي يبلغ فيها المطر حده الأعلى، في كانون الأول وكانون الثاني، وتؤلف أمطارها (٤٠ ـ ٥٠٪) من مجموع أمطار

الفصل كما تشكل نحو (٤٠٪) من عدد الأيام الممطرة [٨].

أما نموذج هطول الأمطار فالغالب السائد عليه انهمارها على شكل عواصف مطرية عنيفة تهطل في فترة زمنية قصيرة يعرفها السكان بالـ(زخ) أو الـ(رشق) أو على شكل عواصف أقل شدة ذات أمطار أغزر، وتتراوح كمية المطر القوية بين ٥٥٠ مم و٦٥٠مم، ومتوسط درجات الحرارة بين ١٣° - ١٨° مئوية ونسبة الرطوبة في الشتاء لا تختلف عن الرطوبة في الصيف، وهذا يدل على أن مناخ المنطقة دافئ في الشتاء، وهو في الصيف حار ورطب في الساحل والسهل الساحلي، لطيف على المرتفعات [٩].

النباتات والأشجار والحيوانات في ذاكرة أهالي القرية

من خلال نبش ذاكرتهم، يشير أهل القرية من الذين طردوا أطفالاً منها، أو شباباً، أن البرقوق بألوانه المتعددة، أبيض، أصفر، وكحلي والشبيه ونبتة الخزامى تعتبر من أهم نباتات الربيع في القرية والتي تنبعث منها رائحة جميلة نضرة، ومن النباتات أيضاً زهرة النرجس التي تنتشر بالقرب من مياه البرك في القرية، ورائحتها زكية عطرة، وكانت تشاهد بكثرة في منطقتي البيادر والواد في بلد الشيخ.

ومن الأزهار البرية المنتشرة في بلد الشيخ عصاية الراعي، والحنون، والصفير، والعنبر وهو ذو رائحة زكية، كما ينتشر الزعتر، الميرامية، والبابونج، والبسباس، وسنارية، الفطر، القريص، الشومر.

أما الأشجار الحراجية، فينتشر شجر البلوط بكثرة، والسريس، ويستعمل الأخير لوقود الفرن، كما تظهر أشجار السنديان خاصة في الجبل الذي يحتضن القرية، وكأنه أب يحنو على طفله من جهات عديدة خوفاً على مستقبله، وتستخدم قرون شجر الخروب الذي يترعرع في بلد الشيخ للمرطبات الخاصة التي تشبه التمر هندي إلى حد بعيد، كما يستخدم للأكلات الشعبية الأخرى.

وفي البساتين، يزرع الخس والملفوف إضافة إلى القمح والسمسم والذرة البيضاء والشعير، والعدس والحمص الذي يعتبر من أهم المزروعات التي تشتهر بها بلد الشيخ في القرى والمدن الفلسطينية وخاصة في مدينة حيفا عروس الساحل الفلسطيني، وكانت قرية بلد الشيخ تزود سوق حيفا بالخضروات المختلفة حتى عام ١٩٤٨، في حين كانت تزوده بالحليب في العشرينات من القرن المنصرم، حيث تكثر المواشي والرعي في بلد الشيخ.

وبالنسبة للأشجار المثمرة، يؤكد أهل قريتنا، بأن الزيتون، والتين والعنب والرمان، واللوز

من أهم الأشجار في القرية والتي تغفو على الجبل هناك، متفائلة بموسم جديد كله ثمرات.

كانت بساتين القرية تنبسط على مساحات شاسعة في شمالها، وكان لكل منها «فحيرة» يستفاد منها في سقاية الأرض والزرع، (انظر شكل الفحيرة ومكوناتها في الملحق)، ويستفاد من الحنانة(*) أيضاً لاستخدامات المنزل والزراعة، ويذكر أن هناك حنانة وحيدة في قرية بلد الشيخ، وتعود ملكيتها للمرحوم سعيد اليوسف السهلي، وتقع في وسط القرية، ونتيجة نشاط أهل القرية ومثابرتهم في زراعة أرضهم، استطاعوا حفر آبار ووضع مضخات لاجتذاب الماء والاستفادة منها في ري الأرض والاستخدامات المنزلية أيضاً.

ومن أهم حيوانات القرية وطيورها حسب ذاكرة أهالي القرية من كبار السن، الضباع، الذئاب، الثعالب والنمور، حيث اختفى أثرها بعد أن قتل أخرهما في نهاية القرن التاسع عشر وفق معتقدات أهل القرية، الذين كانوا يستيقظون على زقزقة الزرازير، والقطا، والدويري، ويرون أحياناً الغربان (فاق) وأبو سعد، والبوم، والسنونو في فصل الربيع.

(*) الحنانة: هي عبارة عن بئر يستخرج الماء منه بواسطة الدواب، إما عبر زوج من الخيل، أو البقر، حيث تتم عملية اجتذاب الماء من خلال حركة دائرية من قبل الدواب.

2

التشكل الاجتماعي في قرية بلد الشيخ في ذاكرة أهلها. (١٠)

كان السلطان سليم الأول في طريقه إلى مصر بعد أن تم له فتح بلاد الشام وشاءت الصدفة أن ينزل جيشه وينتشر في سهل عكا وما جاوره للراحة. ومرت ثلة من جنده وهي تستطلع المناطق المجاورة بسفح من سفوح جبل الكرمل في منطقة اسمها مغر حواس ومر الجند ببناء منفرد كان بيتاً وإلى جانبه زاوية وجامعاً. وتبين لهم أن البيت لرجل جليل متصوف، له ثلاثة أولاد وبعض الأتباع من المتصوفين. وأحسن الشيخ استقبال الجند وأصرّ أن يتناولوا طعامهم عنده ونحر لهم مما لديه من الماشية وأنزلهم في بيته ضيوفاً حتى جهز الطعام وأكلوا وشربوا وانصرفوا والله أعلم بما دار بين المضيف وضيوفه من حديث وكلام.

وفي اليوم التالي أرسل مع أبنائه وخدمه أو إتباعه حملاً من الطعام لبعض الجند الذين كانوا ينزلون في مكان قريب من مغر حواس في مرج بن عامر. وتناهى إلى السلطان خبر ذلك الشيخ المتصوف فأرسل في طلبه وحضر إلى خيمة السلطان وجالسه وتبادل الحديث معه. واعجب به السلطان وأحسن وفادته بعد أن سأله عن اسمه ونسبه وقص عليه الشيخ قصة إقامته في ذلك المكان وعرف السلطان بأن اسمه الشيخ سهل التميمي وأن نسبه يعود إلى جده الأكبر الصحابي تميم الداري. الذي وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم من اليمن في جمع من قومه ليعلن إسلامه مع من رافقه وطلب من الرسول كما ورد في السيرة النبوية أن يكتب له عهداً بإعطائه منطقة ذات أشجار وزرع قرب مدينة الخليل إذا تم فتحها، وكان قد زارها واعجب بزرعها وهوائها أثناء رحلاته من اليمن إلى الشام بقصد التجارة. فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ابن عمه الإمام علي كرم الله وجهه أن يكتب له عهداً ولأبنائه من بعده بما طلب. وذكر الشيخ للسلطان أنه من السيلة التي كانت وقفاً لذرية تميم الداري وأنه غادر القرية مع أخويه تميم وهو جد آل التميمي. وأخيه الآخر واسمه مجلّي وهو جد آل المجالي. وقد جلوا عن القرية لوقوع خلاف مع أقربائهم بسبب حادث قتل بدون قصد. وعرف السلطان أنه من أصحاب الطرق الصوفية. وكان العثمانيون في تلك الفترة يجلّون المتصوفة ويحترمونهم وزاد من ذلك انتماء شيخنا في نسبه إلى الصحابي تميم الداري. وقطع السلطان عهداً للشيخ سهل بأن يقطعه مغر حواس وما جاورها وقفاً ذرياً له ولذريته من بعده وأرسل له فرماناً بعد عودته من مصر إلى

عاصمة السلطنة بمنحه الأرض التي وعده بها وقفاً ذرياً وبقيت كذلك حتى انتهاء الحكم العثماني وحلول الإنتداب البريطاني إضافة إلى وقف ذري في بعض أجزاء مدينة حيفا. وهكذا اكتسبت البلدة اسمها بلد الشيخ بدلاً من مغر حواس التي تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة حيفا وتتصل أراضي البلدة بأراضي حيفا، غرباً ومستعمرة نيشر شرقاً وهي في الأساس من وقف أرض القرية.

أراضي قرية بلد الشيخ تتوزع على السهل في مرج ابن عامر وعلى بداية سفح جبل الكرمل، السهل في الشمال وبيوت القرية على جزء من السفح تصعد من الشمال نحو الجنوب ومنذ بناء أول حجر في بداية القرن السادس عشر حتى عام ١٩٣٩ لم يزد عدد سكانها زيادة كبيرة مثلها مثل باقي القرى والمدن الأخرى لأسباب متعددة كان أهمها أثر الحروب التي كانت تسوق الرجال للحروب والحملات ولا تعود بهم إضافة إلى الأوبئة وكان أكثرها انتشاراً وتكراراً الريح الصفراء (الكوليرا) والطاعون والجدري وكثرة الوفيات بين الأطفال لعدم توفر العناية الصحية وعدم وجود الأطباء وانعدام الوعي الصحي. خصوصاً إبان القرون الأربعة من الحكم العثماني إضافة إلى الكوارث الطبيعية كالزلازل وغزو الجراد الذي كان يأكل الأخضر واليابس ويتسبب في المجاعات وكان هذا حال كل بلاد الشام ومصر وغيرها من الأقطار العربية. وعلينا أن نذكر أن عدد سكان بلاد الشام في بداية العشرينيات لم يتجاوز أربعة ملايين نسمة للأسباب التي سبق ذكرها مع أن عدد سكان بلاد الشام كان أضعاف هذا العدد قبل قرون عديدة.

والأحاديث والحكايات التي تناقلها الأبناء عن الآباء والآباء عن الأجداد غنية حافلة بالأحداث التي تصور وتتحدث عن تاريخ القرية وسكانها وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم ومفاهيمهم ونمط معيشتهم وطراز سكنهم وشكل بيوتهم وما تحتويه من الداخل من أماكن وأثاث. ولابد من الحديث عن كل ما ورد في حينه.

كان أول الأبنية بيت الجد وعائلته وهو أعلى بيت في القرية نحو الجنوب وزاوية مجاورة لإتباعه ومقابلها الجامع الذي يحتوي على ضريح الشيخ وداخل حجرة. إضافة إلى أربعة قبور داخل سور الجامع الحجري من جهة الغرب تظللها شجيرات الخروب والتين. خارج سور الجامع مقبرة القرية وهي ملاصقة له من جهة الغرب وتتدرج بالارتفاع نحو الجنوب.

البيت أو العقد مع الزاوية والجامع أول ما بني ولم يبن نحو الأعلى باتجاه الجنوب أي بيت آخر بل انتشرت العقود إلى الشمال وشمال شرق وشمال غرب هذه الأبنية المنحدرة بالتدريج وحسب زيادة الأسر، وكانت على شكل عقود مبنية من الحجر الكلسي وتهدمت معظم هذه العقود القديمة وبقيت أنقاضها من الحجارة حتى عام الخروج وبقي بعضها قائماً حتى عام ثمانية وأربعين

وتسعمائة وألف. وكان الزلزال الذي حدث في أواخر العهد العثماني سبباً مباشراً أو غير مباشر في تداعي أو سقوط معظمها.

كان البيت التقليدي في شكله وسعته وفي كل مواصفاته مرتبطاً بالوضع الاجتماعي والاقتصادي وملبياً لكل متطلبات العائلة. للسكن والضيافة وخزن المؤونة والأعلاف. وكان فيه مكان ملحق به هو التبان لحفظ التبن وفصل الذرة ومخلفات البيادر والأعلاف. وفي زاوية من زواياه مكان لبعض الحيوانات ملحق بالبيت اسمه السيرة أو الصيرة. ولا يخلو بيت من البيوت القديمة من الطابون وهو مخبز العائلة. كان الطابون يصنع بشكل مستدير من التبن والطين أو الفخار يدفن حتى فوهته بالأرض وحوله فراغ يحيط به للوقود الذي كان على الغالب من زبل الماعز وجفت الزيتون(*). وله غطاء دائري مقبب. وكان يوضع بداخل الطابون قطع من الحصى الأسود أو الحصى البحري في الأسفل يتم وضع العجين فوقها. وكان يطلق على قطع الحجارة اسم الرضف. وكانت تمنع التصاق العجين بأسفل الطابون وتحول دون اتساخه إضافة إلى احتفاظه بالحرارة ويساعد على انتزاع الأرغفة بكل سهولة. أما الغطاء الدائري المقبب فكان يمنع تساقط الرماد داخل الطابون ويحافظ على نظافة الخبز وعدم اتساخه وعدم تأثره بدخان أو لهب. لنتصور الرغيف الذي يخبز معزولاً عن الدخان أو الرماد أو اللهب ينضج فوق الحجارة الصغيرة على نار هادئة. وكان الطابون يحتفظ بحرارته على مدار العام لأنه كان يغطى بعد الانتهاء من استعماله ويزبل ويغطى الوقود بالرماد. وكانت أفخر الوجبات المفضلة التي كثيراً ما تقدم للضيوف أو تحضر في المناسبات، يتم خبزها في الطابون وأهمها المحمّر.

(*) جفت الزيتون هو مخلفات الزيتون بعد عصره وهو مادة شديدة الحرارة.

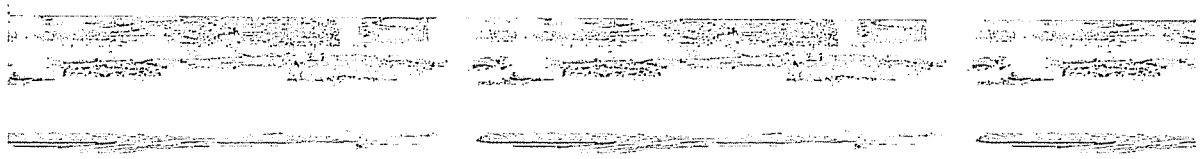

3 الحياة الاقتصادية

كان أهل قرية بلد الشيخ يعيشون قبل طردهم في عام ١٩٤٨، حياة اقتصادية واجتماعية قروية، وكما أسلفنا فإن النشاط الاقتصادي لأهل القرية يتركز في الزراعة، حيث لكل عائلة ملكيات زراعية معينة في شمال القرية، ويتم حراثتها وزراعتها بأدوات بدائية، وكان من أهم المزروعات القمح، والشعير، والسمسم، والخس الذي كانت قرية بلد الشيخ تشتهر به عن سواها من القرى الفلسطينية، كما تعتبر الخضروات الأخرى والزيتون من أهم محاصيل القرية، وتتم عملية الحصاد بالمنجال وأدوات بدائية أيضاً، حيث يتم تصدير غالبية المزروعات إلى حيفا ومن ثم بيعها، ويشكل دخل المبيعات من المحاصيل الزراعية أهم مداخيل الأسرة في قرية بلد الشيخ، هذا إضافة إلى عمل بعض شباب القرية في مصفاة تكرير النفط في حيفا وغيرها من المصانع، ومن الأهمية الإشارة أيضاً أن أهل القرية كانوا ينقلون إنتاجهم الزراعي إلى حيفا لبيعه عبر أدوات نقل أولية، تحتاج إلى وقت لنحو ساعة تقريباً وكذلك العودة في غالب الأحيان. وكان سكان قرية بلد الشيخ يستخرجون الزيت من الزيتون، مستخدمين معصرة يدوية، وفي ١٩٤٤/١٩٤٥ كان ما مجموعه ٤٤١٠ دونمات مخصصاً للحبوب، و٣٦٨ دونماً مروياً أو مستخدماً للبساتين[١١].

ولحفظ الزيت والمؤونة كان أهل القرية يستخدمون الزلعة، وهي عبارة عن جرة كبيرة الحجم مصنوعة من الفخار وتطلى أحياناً بالسيراميك الصيني وقد كان هناك اكتفاء ذاتي لسكان قرية بلد الشيخ من ناحية الغذاء، ومرد ذلك وجود المواشي، ومشتقات الألبان، وكذلك توافر أنواع الحبوب (التي كانت تخزن بخابية[*]) والزيوت والخضروات، ومن أهم الأكلات في القرية المغربية، المسخن، البامية، منزلة، مقلوبة الباذنجان، الملوخية، خبيزة، فرفحينة، المجدرة، فقعية وهي عبارة عن رز مع لبن ولحم، ومن أهم الحلويات البحتة وهي عبارة عن رز وحليب، والعصيدة، الزلابية، المطقطقة، الخوية، اللّبا، ومن أهم الحلويات في رمضان المسحلة وهي

(*) الخابية: هي عبارة عن مخزن للحبوب، يتم بنائها أمام جدران البيت ولها فتحة في الأسفل تغلق بسدادة ويبقى سقفها مفتوحاً لتملأ بالحبوب والعلف، وعند الحاجة ترفع الفتحة فيدفق ما فيها من الأسفل.

شعيرية بسكر ـ قمر الدين ـ المشبك ـ العوامة أو لقمة القاضي ـ حلاوة[١٢].

ومن أهم المشروبات في قرية بلد الشيخ، الشاي في الحليب، القهوة، البابونج، الزهورات، منقوع الخرنوب، شأنها في ذلك شأن المشروبات في قرى قضاء حيفا[١٣].

ومن الأدوات والأواني المستخدمة في قرية بلد الشيخ، الخوصة وهي السكين، الملعقة أو الخاشوقة، الستية وهي عبارة عن الصحن، أما الكماجة فتطلق على رغيف الخبز، والدست وعاء نحاسي كبير يتسع إلى ٥٠٠ ـ ٨٠٠ ليتر من السوائل ويوضع على النار لسلق الحبوب وخاصة القمح ليصبح برغلاً، أو يغلى فيه عصير الخرنوب، ويستعمل للطبخ عند الولائم، ويستخدم الطابون في قرية بلد الشيخ لخبز العجين، ولطبخ بعض الأكلات في القرية خاصة المسخن (انظر لمكونات الطابون في الملحق).

4 الحياة الاجتماعية

يبدو أن التشكل الاجتماعي انطلق من حول زاوية أو جامع القرية، حيث بنيت الحارات الثلاثة فيما بعد إلى الشمال من الجامع كما أشرنا، وفي عام ١٩٤٨ كان في القرية لكل عائلة عقد أو عدة عقود، والعقد هو عبارة بيت كبير مساحته تصل إلى ١٠٠ متر مربع مؤلف من أعمدة بين مسافات محددة، وقناطر حجرية من الأعلى، ومن العقودة في القرية على سبيل المثال لا الحصر عقد دار محمود الحسن، وعقد دار يونس، وقبل النكبة بقليل كانت منازل القرية صغيرة متواضعة سقوفها من الإسمنت ولا تقارن بالعقود التي من أهم سماتها المساحة الكبيرة وأبوابها الضخمة التي يدخل من خلالها الجمل محملاً، وقبل النكبة كان لكل منزل في قرية بلد الشيخ قاع دار، وغرف للنوم، وغرف للمونة، وغرف للقعدة، وفي غرفة النوم توجد سمندرا من الخشب، توضع على أحد الحيطان، بحيث لا تصل إلى السقف، وفي أخر رف من فوق، يحفظ البطبخ ملفوفاً بقماش، وبزر بطيخ، وثومة، وبصل، كما توجد في الغرف أحياناً صناديق قديمة توضع فيها الملابس. وفي عام ١٩٤٨ كان في قرية بلد الشيخ، أربع مدارس، وهي مدرسة الشيخ عبد الله السهلي، مدرسة حكومية، ومدرسة سيف الدين، إضافة إلى مدرسة السباعي، كما يوجد في القرية أربع مقاهٍ أيضاً، مقهى الشيخ صالح السهلي، مقهى محمد يعقوب السهلي، ومقهى الشخشير، ومقهى عزيز اليونس السهلي وفي القرية قبل عام ١٩٤٨ وما يزال حتى نهاية عام ١٩٩٥ جامع في جنوبها، ويقول أهل القرية أن عدداً من الأولياء مدفونون في زاوية الجامع وكما أكد كبار السن أن المرحوم محمد حسين السهلي وهو جد الشيخ عبد الله مدفون في الجامع[١٤]. وكبقية القرى الفلسطينية، فإن قرية بلد الشيخ لم تحتو سوى على صندوق العجب قبل عام ١٩٣٦، وبعد الثورة في العام المذكور قام أهل القرية بشراء المذياع، وانتشر بشكل أكبر خلال الفترة (١٩٣٦ ـ ١٩٤٨) وكان المذياع هو الأهم في المقهى، وكان بعض الشبان يشترون بشكل يومي جريدة الدفاع، وجريدة فلسطين من مدينة حيفا المجاورة (انظر في الملحق صور لبعض الأغلفة).

الأعياد والمناسبات المختلفة: [١٥]

من أهم الأعياد التي كان أهل القرية يحتفلون بها وفق طرائقهم الخاصة، عيد الفطر السعيد،

ولرمضان قبله طقوس خاصة حيث تحصل اللقاءات في الدواوين بشكل يومي بين كبار السن الذين عادة ما يتحدثون هناك عن أرضهم، وعمليات الزواج والطلاق والطوشات في القرية، وكذلك محاولة حل بعض الإشكالات الاجتماعية في القرية، لكن غالبية الأحاديث تتركز حول الفلاحة والزراعة في القرية، والمواجهات مع اليهود. وكان اسم المسحر في رمضان في القرية قبل النكبة أبو الغزلان، وفي صبيحة عيدي الفطر والأضحى يؤدي الكبار في القرية صلاة العيد في جامعها، وكانوا يلبسون أجمل ما عندهم خاصة القنباز والعقال، وبعد الصلاة يعيدون بعضهم بعضاً من خلال كلمات سائدة حتى أيامنا هذه «كل عام وأنتو بخير وكل سنة وانتو سالمين»، وينزل الشباب إلى مدينة حيفا صبيحة عيد الفطر والأضحى، ويلعب الأطفال بالمراجيح بين زيتون القرية في منطقة الخبطة. ومن شعر الأطفال في المراجيح:

إجا العيد والعيد لأبونا... ولولا أيام العيد ما لبوسنا

سريري وحريري وأبوكو يا بنات

وقد كان ينصب المراجيح في عيدي الفطر والأضحى العدلوني وهو شخص صيداوي الأصل، وساحة العيد كانت بالقرب من «حواصل» محمد اليعقوب.

كما كان أهل القرية يحتفلون في ذكرى المولد النبي، وكان هناك عيد يدعى خميس الأموات، توزع فيه الحلوى بأنواعها، ويتم سلق البيض، إضافة إلى ذلك كان شبان قرية بلد الشيخ يزورون إخوانهم المسيحيين في حيفا أثناء الأعياد المسيحية في عيدي الميلاد ورأس السنة الميلادية في نهاية كل عام، وبدورهم كان المسيحيون في حيفا يزورون ويعيدون إخوانهم في قرية بلد الشيخ في الأعياد المختلفة.

وكما في القرى الفلسطينية في قضاء حيفا كان للرجال لباس خاص يتمثل بشروال للصغار وقنابيز للكبار. وقبل النكبة بقليل درج البنطال بين الشبان، أما النساء فيلبسن فساتين مطرزة من الأسفل وزنار من الوسط، وغالبية الملابس كان يتم شراؤها من مدينة حيفا.

وعودة إلى رمضان، تشير نساء القرية، أن طعام السحور، كان يتألف من البيض والجبنة، وقمر الدين، والزيتون ومن التين، وطعام فطور رمضان كان في غالب الأحيان محمر في الطابون، الذي كان يبنى من التراب الأبيض كان يجلب من الطريق المؤدية إلى الياجور.

ومن الأشعار التي كان ينشدها المسحر أبو الغزلان:

يـــا نـــايم وحـــد اللـــه... قـــم مـــن منـــامك اذكـــر اللـــه...

قومـــــو علـــــى ســـــحوركو... خلـــــي النبـــــي يزوركـــــو...

وفي غالب الأحيان يتم بعد الإفطار في رمضان لقاءات في الدواوين، ويتم تحميص القهوة بالمحماسة والجرن، ومن أغاني رمضان عند الأطفال:

١- وذن يا خطيب قبل الشمس ما تغيب سبع مكاتيب للنبي الحبيب.

٢- طاسة فوق طاسة بالبحر غطاسة تغطس وتسقينا بفنجان الصينا.

الحج

يقوم أهل القرية في بلد الشيخ وخاصة النساء منهم، بوداع الحاج من الجنسين وفق تحنينة يتم غناؤها لثلاثة أيام متتالية قبل السفر، على شكل قراءة القرآن الكريم، ومن بيوت الشعر:

كونـوا حنـاين يـا نجـوم السـما... ولـموا العمـايم قبـل مـايبوخ النـدا

وكونـي مريـة يـا طريـق النبـي... وزبـدة طريـة تحـت خـف الجمـل

وكان السفر إلى مكة للحج في الثلاثينيات والأربعينيات يتم عن طريق قناة السويس، ومن بين الحجاج الذين يتذكرونهم الكبار من نساء القرية، الحاجة أمل، وزوجة المرحوم سعيد اليوسف.

وعند استقبال هؤلاء يتم غناء عدة أشعار منها البيت التالي:

يـــا مرحبـــا، يـــا مرحبـــا ياريحـــة ثيـــابكو محلبـــا

وعيـــون تشـــوفكو مـــن بعيـــد والقلـــب بقلكـــوا مرحبـــا

وكان الحجاج يجلبون من مكة بعد الانتهاء من مناسك الحج هدايا منها، ترابة النبي، والحنا، والأساور، ويوزعون الهدايا على الأطفال وكبار السن من النساء والرجال، مثل السبحات، والطواقي وغيرها، وبعض العادات المذكورة سائدة حتى الآن بعد أداء الحاج مناسك الحج وعودته. وهناك تحنينة للحاجة قبل سفرها تقوم بأدائها نساء القرية:

افـردي غطـاك وحجـي قومـي اركبـي إفـــردي غطـــاك بمحبـــة النبـــي

بتشـــقل نقـــابك ويرفرفـــو الهـــوى فـــي طريـــق الـــمنى رفـــرف الهـــوى

الخطوبة، الزواج

هناك عادات وتقاليد خاصة في المناسبات المذكورة، وهي قريبة إلى حد كبير من العادات والتقاليد في قرى قضاء حيفا مثل اجزم والطنطورة، وجبع وعين غزال والطيرة وغيرها. فكان الأهل عندما يريدون أن يخطبوا لابنهم، تذهب مجموعة من كبار السن إلى بيت أهل الفتاة المراد خطبتها، وتسمى المجموعة المذكورة «الجاهة»، حيث يبدأ الكلام والطلب الأكبر سناً من بين المجموعة، وعادة تتم الموافقة من قبل والد أو ولي أمر الفتاة دون الرجوع إليها، ويحدد موعد التلبيسة، وكانت ترافق الجاهة مجموعة من النساء تزغردن بعد قبول طلب الجاهة من قبل أهل الفتاة المراد خطبتها، وبعد ذلك تبدأ خطوات جدية لتلبيسة العروس، وتجهيزها للعرس، ويدفع الشاب بعد فترة وجيزة مهر عروسه حسب الاتفاق، ويقوم أهل العروس بشراء الحاجات إلى ابنتهم من ثياب وحلي وفراش وغيره، وقبل حفل الزواج بفترة وجيزة تقوم النسوة بنقل أغراض العروس إلى بيت العريس، وذلك بواسطة بقج وصناديق، وصواني، وأطباق يتم حملها على رؤوس النساء وهنّ يرددن الأغاني من بيت العروس حتى بيت العريس.

وكانت النساء من أهل العريس يرددن بيوت شعر خاصة دالة على غلاء المهور:

علـــى دلعونـــا يـــا معدلعنيـــة ... وصـــاروا يطلبـــو فـــي البنـــت ميـــة

صـــــاح العزابـــــي يايـــــابي ... منلـــي مصـــاري أجيـــب الـــمزيونا

ومن الأغاني أيضاً بعد القبول وأخذ الشربات:

ع الزنزلختـــــة وع الزنزلختـــــة ... ريتـك يـا حلـوة مـن حظـي وبختـي

بـــدك أبـــادلك ببـــادلك بختـــي ... بـــدك مصـــاري بدفـــع مليونـــا

وقبل حفل الزواج تقام التعليلة مساء كل يوم قد تمتد أسبوعاً كاملاً، وهي فترة تجهيز العروس للزفاف، حيث يسهر شباب القرية على ضوء القمر والمصابيح، ويتدربون على الأغاني والدبكات، ويقوم أهل العريس بدعوة أهالي القرى والمدن المجاورة والبعيدة، مثل عيلوط، وطمرة، وإجزم، والطيرة، وحيفا لحضور العرس، ويأتي المدعوون محملين بالهدايا من رز وسكر وقهوة، إضافة للخواريف، وينهمك أهل العريس وقرية بلد الشيخ بشكل عام في إعداد الطعام، فيجهزون الموائد، حيث سيتناول الضيوف طعام الغذاء، وعند وقت العصر يبدأ العرس فعلياً.

وقبل ليلة من العرس كانت تحنى العروس، وتقوم بتحنيتها نساء متخصصات أو معروفات من قرية بلد الشيخ، ومنهن، الحاجة المرحومة سمية السهلي، والمرحومة خضرة زوجة الحاج

رفعت السهلي، والحاجة زوجة سليم الحمدان وغيرهن.

وكانت أدوات الحنة، تتألف من الحنة السودانية حيث تجبل بالماء، وبعد ذلك تستخدم الحنة مع الخيطان والربايط لتحناية يدي ورجلي العروس.

وعند دخول أهل العريس من النساء إلى بيت أهل العروس يتم غناء العديد من أبيات الشعر:

يـابي العـروس وسـع دارك الـمينا	وحمـام دارك كلـو مـا يكفينـا
حمـام مـا نكلـوا حريـر تكسـينا	وحريـر مـا نلبـس صيتـك بيكفينـا

كما يقال:

وظليت دايري ورا الأجـاويد لنـي أناسـبهن	وهـب الهـوا ورمـاني علـى مخـاطبهن
ويخلـف عليكـوا كـثر اللـه خـيركو	ولا عجبنـا مـن نسـايب غـيركو
ويـابي العـروس لا تكـن طمـاع	والـمال مـا ينفـع والنسـب نفّـاع

ويذكر كبار السن من قرية بلد اليخ من نساء ورجال أن التعاليل كانت تتم في منطقة المصفي في الساحة أمام باب الجامع في القرية، حيث السحجات، أما صمدة العريس والزفة فكانت بين الزيتون، وتتم الزفة من الخبطة من الشرق حتى بلد الشيخ على مساحة كليومترين غرباً، وتتم زفة العريس على فرس أصيلة، يتم وضع بعض ملابس العروس من الجهاز على سرج الفرس تحت العريس، وشباين العريس من أصدقائه يركبون أصايل من حوله عند زفافه، وكذلك فإن العروس يتم نقلها على فرس أصيل من بيت الصمدة حتى بيت العريس، وتضاء المشاعل خلال المسير، ومن أهم رويسة القرية بلد الشيخ في الأعراس والمناسبات الجميلة، حسن الخطيب، أحمد علي سعيد السهلي، محمد علي سعيد السهلي (أبو نصار).

حيث كان الأخير يعزف على اليرغول، وكان من الرويسة عبد الحفيظ الولي، وسليمان الخطيب عازف يرغول وصالح عبد الله السهلي (خريبش) من الشعراء الشعبيين، ويذكر أهالي القرية من كبار السن أن التعليلة كانت تستمر سبعة أيام، ثلاثة أيام للرجال، وثلاثة أيام للنساء، والسابع للعرس، وممن كان يحضر من القرى الأخرى، لإلقاء الشعر الشعبي في الأعراس، الحاج فرحات من المجيدل، والحطيني من حطين، والريناوي من الرينة. وتقام الدبكات والسحجات، ويقوم الحداؤون، أي الشعراء الشعبيون، بإلقاء أشعارهم الغنائية التي تتناول المدح، والذم، والاعتزاز والغزل وغيرها، وتجري مباريات بين شاعرين شعبيين أو أكثر، في صفين متواجهين،

يكون كل منها أمام صف من الصفين.

ومن أغاني الزفاف المعروفة التي تقال للعريس خلال موكب الزفاف من الخبطة حتى بلد الشيخ،

عريســـــنا عنـــــتر عبـــــس عنـــــتر عبـــــس عريســـــنا

وعريســـــنا ابـــــن الكـــــرام ابـــــن الكـــــرام عريســـــنا

وعريســـــنا زيـــــن الشـــــباب زيـــــن الشـــــباب عريســـــنا

وإلـــــي يعادينـــــا بنذبحـــــه ونقطعـــــه بســـــيوفنا

في حين تغني النسوة للعروس أثناء خروجها إلى بيت عريسها:

أمشـــــي دلـــــك دلـــــك وكندرتـــــك يـــــا قشـــــر الســـــمك

واطلعتـــــي مـــــن بيـــــت الوزيـــــر ورحتـــــي علـــــى بيـــــت الـــــملك

وقومي اركبي يا بنت قومي تمامك عاد وشعرك ربايط سعد رابي على جنب الواد

وقومي يا بنت اركبي قومي على مهلك ولا تزعلي يا عروس نص البلد أهلك

ويقال عند حمام العروس في بيت أهلها:

يا مغسلة غسليها شوي شوي لا توجعيها وإن وجعتيهـــا ريتـــو الوجـــع بديـــاتك

ومن الأغاني التي تردد للعروس أيضاً قبل صمدتها في بيت عريسها:

يـــــا محمـــــرة يـــــا مبـــــودرة وألفيـــــن حـــــق الكنـــــدرة

حلفـــــت يـــــا فلانـــــة مـــــا بطلـــــع إلا إلـــــى الحمولـــــة حـــــاضرة

وأثناء العرس كانت النساء يتزين بالذهب، بالقبيات حول الرقبة، وهو عقد كبير يلف الرقبة، وكذلك الكرادين ومؤلفة من مخمسات، والمخمسة جنب المخمسة، حتى تصل المخمسات إلى خصر المرأة المتزينة، وتتألف القبية من ليرات عصملية، حيث يتم صفها وراء بعض، أما الحلق فكان يسمى حلق عصافير، والشعر بداخله مشط من الماس وكلايل على الرأس.

ويقول كبار السن في القرية أنه عند حضور العروس إلى القرية إذا كانت من قرية ثانية، كانت تصمد وتتم عزيمتها في أول بيت تمر من جانبه في القرية، وتنام هناك وتصمد، وكان أهل

القرية يطبخون المحمر للضيوف الذين يحضرون العرس من القرى الفلسطينية الأخرى.

ومن الشعر الجميل الذي كانت تنشده نساء القرية عند وصول العروس إلى الصمدة في بيت العريس:

يـــــاريتك مباركـــــة ياكنتنـــــا وتبكـــري بـــالصبي وتكبـــري عيلتنـــا

وعند ولادة المرأة في قرية بلد الشيخ، وإعلان القابلة عن ولادتها ذكراً فإن الزغرودة تكون على الشكل التالي:

أيـــه ويهـــا جـــابت وقـــامت ايـــه ويهـــا وفراشـــها قـــامت

أيـــه ويهـــا ولـــك الحمـــد يـــارب ايـه ويهـــا ومـــا تشـــمّت فيهـــا شـــامت

ويقال للولّادة سواء ذكر أم أنثى، ابتهاجاً بقيام المرأة بالسلامة:

ايـــه ويهـــا فقســـت حمامتنـــا إيـــه ويهـــا وبقلـــب طاقتنـــا

ايـه ويهـا لا فرحنـا ببنـت وصبـي إيـه ويهـا إلا بسـلامة حبيبتنـا

وعند طهور الأولاد، ومثل قرى قضاء حيفا والقرى الفلسطينية الأخرى، كانت هناك أغاني في قرية بلد الشيخ تغنى في هذه المناسبة ومنها:

طهـرو يـا مطهـر ونـاولوا لأمـه يـا دمـوع الغاليـة نزلـت علـى كمـوه

طهـرو يـا ممطـر بالـموس الرفيـع لا توجعلـي ابنـي بعـدو طفـل رضيـع

طهـرو يـا مطهـر ونـاولو لخالـه يـا دمـوع الغاليـة نزلـت عـا خلخالـه

طهروا يا مطهـر وزتـو علـى سـطوح لا توجعلـي ابنـي بـاضربك رمـوح

وعندما تُزوج فتاة من قرية بلد الشيخ لشاب من خارج القرية، كان أهلها ونساء القرية وصديقاتها يقولون أشعاراً محددة منها:

يالـــمي يالـــمي حشـــيلي مخداتـــي وطلعت من الـدار مـا ودعـت رفقـاتي

يالـــمي يالـــمي طويلـــي منـــاديلي وطلعت من الدار ما ودعت أنا جيلي

يـا أهـل الغريبـة طلـوا مـا لسـنة مـرة وإن كنـك غريبـة هللـي من الدمـع جـرة

يـا لهلـي يـا لهلـي مـا يحـير لكوذمـة شو اللـي عمـاكو عـن ابـن الخالـة والعمـة

بكـت رويـدة، رويـدة علـى رويدتهـا بكـت العـروس فلانـة علـى حبيبتهـا

وكان أهـل قريـة بلـد الشيخ يرددون أشعاراً تحكي مقاومتهم للـمحتل البـريطاني وغيره وإصرارهم على المواجهة ويقولون:

إحنا أهـل بلـد الشيخ مـن يغضـر يحاصرنـا وشـاكلين الخنـاجر بـروس خناصرنـا

وأسـالت رب السـما مـن فـوق ينصرنـا ونصـرة عزيـزة لا تكسـر بخاطرنـا

ويـرددون أشـعاراً وأقـوالاً عديـدة فـي مناسبات الأعراس وأثنـاء اللعب، وتتويم وترضيـع الأطفال الصغار، هذا فضلاً عن أقوال وأشعار عن أهمية الكبار بين أسرهم ومنها:

يا بي، يا بي، يا أبـو محمد تتمنا لك السما بستان لا طولـك العسـكر، ولا اذلّـك الحكـام

نتمنـا لـك محرمـة وذيالهـا مرجـان تمسح جبينك لما تطلع من عند النبي عرقان

ومن أغاني الأطفال في ألعابهم:

احنا الثلاثة سوا مثل عمود الهوى

وحدة كبيرة ووحدة صغيرة، ووحدة طويلة، ووحدة قصيرة، ووحدة بترجع لاورا

وسنحاول فيما بعد إفراد فصل خاص للتعابير والمصطلحات الشعبية الفلسطينية التي كانت سائدة في معظمها في قرية بلد الشيخ، وقرى قضاء حيفـا، والقرى والـمدن والخرب الفلسطينية الأخرى، وسنعتمد في الحصول عليها من خلال الموسوعة التي صدرت للباحث محمد توفيق السهلي، وهو باحث من القرية عمل على مدى أكثر من ثلاثة عقود في مجال التراث الفلسطيني.

5 في المصطلحات والتعابير الشعبية المستخدمة[١٦]

بسبب صغر مساحتها، وحراك أهلها الكبير، فقد كانت المصطلحات والتعبيرات الشعبية الفلسطينية واحدة تقريباً على امتداد فلسطين، قراها ومدنها وخربها، وكل تعبير يحكى أو يكتب في قرية فلسطينية، كان يعتبر شكلاً وتشكيلاً في الوقت ذاته، يعبر عن تراث الشعب الفلسطيني وتشبثه في أرضه، حيث أن فلسطين وبلد الشيخ منها، زاخرة بالمفردات والتعابير والتراكيب والمصطلحات. خصبة المفردات. والثقافة الشعبية كما يقول الدكتور عز الدين المناصرة «إحدى أهم مستويات الثقافة العامة الوطنية والقومية لشعب ما، وهذا يتعلق بالتكوين الروحي والعاطفي، عبر تحولات التاريخ الشعبي الذي يكتبه فرد معلوم أو مجهول ليصبح جزءاً أساسياً في الوعي الجمعي، وهو متحرك زمنياً عبر الماضي والحاضر والمستقبل».

ومن جهته يقول الباحث علي الخليلي، «حاولت إسرائيل أن تسرق التراث الشعبي الفلسطيني، بعد أن سرقت الأراضي الفلسطينية. ولكنها فشلت في إدعاء هذا التراث لنفسها، ذلك أنه بقدر إمكانية اغتصاب الأرض - على المستوى المادي العسكري القمعي المباشر - فإنه من المستحيل اغتصاب التراث الشعبي الناتج من رحم هذه الأرض ومن إنسانها الحقيقي - فالتراث هو الروح، وأين لأي قوة باطشة وغاشمة، أن تغتصب الروح؟».

وبهذا المعنى كان من الضرورة بمكان إفراد بعض الصفحات التي تحتوي المصطلحات والتعابير الشعبية في قرية بلد الشيخ وكافة الوطن الفلسطيني، لعلها تعزز حماية تراثنا من قبل الأجيال الفلسطينية القادمة، في مواجهة عدو احتل الأرض ويحاول سرقة التاريخ والتراث لطمس الهوية الفلسطينية بكافة جوانبها.

ونورد فيما يلي بعض المصطلحات والتعابير الشعبية الفلسطينية المستخدمة في قرية بلد الشيخ والقرى الفلسطينية الأخرى.

في مجال الأرض والفلاحة والزراعة وشؤونها

١- **أرض بعل:** مصطلح يراد به الأرض غير المسقية. وهي في الأصل القديم تعني الأرض

التي يرويها إله الخصب والزرع.

ولفظة بعل سامية قديمة تعني إله الخصب والزرع. وفي اللغة: البعل من الأرض: ما سقته السماء ولم يسق بماء الينابيع.

٢- **أرض بور:** كناية عن الأرض التي لم تزرع ولم تفلح.

٣- **أرض سقي:** مصطلح يراد به الأرض المسقية. و(السَّقْيُ) في اللغة: ما يسقى من أرض وزرع. وزرع سقي: يروى من غير الأمطار.

٤- **أرض سَلِيخ:** مصطلح يراد به الأرض التي ليس فيها شجر. وفي اللغة (السَّليخة): ما ليس فيها مرعى.

٥- **الأرض محطات:** الأراضي الزراعية تختلف في خصوبتها وعطائها. وهم يقولون (الزرع واحد، والأرض محطات).

٦- **أرض مشاع:** مصطلح يطلق على الأراضي الأميرية (الميرية) التابعة لقرية ما. وتعرف بأنها أرض مشاع، أي أنها بتصرف القرية بكاملها، يخص كل فرد منها حصة مساوية لغيره.

في مجال النباتات

١- **إبرة العجوز:** أوراق نباتية برية، تطبخ مع البصل والزيت.

٢- **أبو صرّه:** اسم يطلق على نوع من البردقان (البرتقال)، وله في مؤخرة الثمرة ما يشبه السرة في بطن الإنسان، سمي كذلك لهذه العلامة الفارقة فيه.

٣- **إجر الحمامة:** نبات بري عشبي له أوراق. يغلى ويستعمل للحصوة والرمل.

٤- **أكي دنيا:** ثمر ذو نوع كثير، لذيذ الطعم، منظر شجر جميل، يزرع في السواحل. سماه الأتراك (يكي دنيا) باسم الدنيا الجديدة (أميركا) التي توهموا أنه جاء منها، وعنهم أخذنا التسمية.

٥- **بُخيتِه:** نبتة برية لها زهرة تتفتح في الربيع، ويلعب بها الأطفال لعبة (البخت) قبل تفتحها، فيسأل أحدهم الآخر: «البخيته» فإذا كانت ناضجة ظهرت حمراء، وإلا فإنها تظهر صفراء. تطبخ أوراق وعروق (البخيته) بعد فرمها مع الزيت والبصل المفروم.

٦- **بزر عين الشمس:** بذور زهرة عباد الشمس أو دوار الشمس.

٧- **البزرة:** نواة الثمرة وتجمع على (بزر). كما أنهم يطلقون هذه التسمية على الأولاد، ومنها قولهم: «يلعن هالبزرة العاطلة». و(البزرة) في اللغة: الحبة تلقى في الأرض للإنبات.

في مجال البيت ـ والبناء وما يتصل بهما

١ـ **الأوضة:** الغرفة، الحجرة. وأصلها تركي: (oda) أودا وهي بنفس المعنى.

٢ـ **الباطون:** ويلفظونها (بطون) بمعنى: إسمنت. وهذه اللفظة إنكليزية الأصل. (Beton).

٣ـ **بتّه ورُكِه:** مصطلح شعبي ذو علاقة بالبناء. والبتة: سلسلة الحجر، والركة هي التصفيح الذي يدعم (البتة) ويتألف من حصى كبير وطين. وتسمى أيضاً: (بته وتصفيحه). وهو أحد أساليب بناء البيت الحجري في فلسطين.

وهم يقولون: فلان (عقله بته وتصفيحه) أي إنه غير كامل.

٤ـ **البرّاكيّه:** كوخ أو غرفة تبنى بالخشب والقصدير أو التنك. جمعها (برّاكيّات).

٥ـ **البردايه:** ستارة تعلق على النوافذ والأبواب من الداخل صداً لأشعة الشمس ووقاية من حرارتها. ج (برادي) و(بردايات) وفصيحها (السجف).

في مجال الملابس، والأزياء والزينة

١ـ **إبزيم:** عروة معدنية في أحد طرفيها لسان، توصل بالحزام ونحوه لتثبيت طرف الحزام الآخر على الوسط. وهي في الفصحى (الإبزيم)، وهذه اللفظة فارسية الأصل.

٢ـ **أبو ميتين:** ثوب له أرضية كحلي، وعليه شرائط مستطيلة طويلة لونها برتقالي ضارب للحمرة (نار) وأخرى خضراء بعرض بوصتين (جنه)، لذا يقال لهما: (جنه ونار).

٣ـ **آخر طرز:** يقولون (فلان لابس على آخر طرز) أي إنه يرتدي أفخر الثياب وأجملها. وفي اللغة (الطرز) هو الهيئة والزي والنسق، والجيد من كل شيء.

٤ـ **آخر موضة:** وقد يلفظ بعضهم كلمة موضة (موظة): أحدث ما صنع أو صمم من الشيء (من لباس وسواه). وكلمة (موضة) هي من الإنكليزية: (Mode) وتعني: موضة، طراز.

٥ـ **أذيال:** الجزء السفلي من خلف الثوب عند المرأة الفلسطينية. وفي اللغة: الذيل من الثوب ونحوه: طرفه الذي يلي الأرض. ج (أذيال) وهم يقولون: (فلان بتصلى ع اذياله) ويضرب لمن لا يصلي ويدعي التعبد والصلاة. وقولهم: (حط الحجر ع أذياله) ويضرب للمتكبر.

في مجال الأواني المنزلية

١ـ **الإبريق:** إناء لشرب الماء، مصنوع من الفخار، مزين بزخارف حمراء غالباً ما تكون رسماً نباتياً.. والإبريق أسطواني الشكل، ويكون رفيعاً من أسفله وأعلاه، وله مقبض وفوهة ومصب يسمى (زعبوبة) أو (بعبوزة) وبعضهم يسميها (زنبوعة).

ولفظة (إبريق) معرب قديم من الفارسية وجمعها أباريق وإذا كان الإبريق ملوناً ومزخرفاً دعي باسم (إبريق العروس).

وفي أمثالنا الشعبية: «سري وسرك في إبريق الزيت، ما بيطلع إلا ع أهل البيت» وهو لوجوب كتمان السر إلا على ذوي القرابة المقربين. وقولهم «سري وسرك في إبريق نحاس، ما بيطلع على كل الناس» وهو كسابقه.

٢- **الأنجر:** صحن مستدير من النحاس. وهذا الاسم معروف في مناطق الخليل وجنوب فلسطين.

٣- **الباطيه:** إناء من الخشب يسكب فيه الطعام، ويصنعه النجار الحاذق بحيث لا تنفذ منه السوائل إلا إذا تعرض للشمس واختلف شكله. ومن البواطي ما كان كبير الحجم.

في مجال الأدوات الشعبية

١- **الببور:** أداة تستخدم للطبخ، وأصلها من الإيطالية (Vapore). ويسمونه كذلك (ببور الكاز) وجمعها: (بوابير). وبعضهم يسميه (البريموس).

٢- **البردعة:** هي ما يوضع تحت سرج الحصان أو الحمار. فصيحها (البردعة).

٣- **البريموس:** انظر: (الببور) فهي تسمية أخرى له ولعل كلمة (بريموس) من أصل لاتيني أو يوناني. ومنه قولهم: (راسه مثل راس البريموس) للإنسان الغبي.

٤- **البلطة:** فأس ذو حد واحد، يقطع به الشجر. وجمعها (بلطات). والكلمة دخيلة من الفارسية وفي أمثالنا الشعبية: (البلطة ما بتقطع براسه) ويضرب للشخص العنيد.

٥- **البيكار:** آلة ذات ساقين لرسم الدوائر. (الفرجار) أو (البركار). واللفظة فارسية الأصل. وفصيحها (الدوارة).

٦- **الجاروشيه:** هي رحى اليد، وكانت مستعملة في فلسطين والبلاد المجاورة. وهي مؤلفة من حجرين مستديرين قطرهما نحو نصف ذراع فما فوق، وسمك كل منهما نحو ٣ قراريط فأكثر. وقد يسمى الحجر السفلي منها (الرحى) والعلوى (المرداة).

في مجال الألعاب الشعبية

١- **الإكس:** لعبة شعبية خاصة بالبنات الصغيرات. وتتكون اللعبة من بنتين، تقومان برسم مستطيل يقسم إلى عدة مربعات متساوية، وتمارس اللعبة ببلاطة صغيرة خفيفة مربعة الشكل لا يزيد أحد ضلعها عن ٦سم، وتبدأ من تقع عليها القرعة باللعب، وذلك بأن تقفز على قدم واحدة، ثم تضع البلاطة في المربع الأول الأيمن ثم تدخل هذا المربع قافزة على قدم واحدة، وتضرب

البلاطة بتلك القدم كي تدخلها إلى المربع التالي وهكذا حتى تتجاوز بالبلاطة كافة مربعات المستطيل (الإكس). ويحق للاعبة الاستراحة، ولكن على نفس القدم التي تستخدمها في القفز، وداخل أي مربع تشاء.

وأخطاء هذه اللعبة عديدة، فإذا ارتكبت اللاعبة أي خطأ منها فإنها (تقطم) أي تخطئ وتخسر اللعبة، ومن هذه الأخطاء:

١- ملامسة القدم المرفوعة الأرض.

٢- ملامسة القدم الأخرى أحد خطوط الإكس.

٣- إدخال البلاطة إلى المربع التالي بضربة واحدة.

٤- خروج البلاطة من المربع الأخير للإكس إلى خارج حدود الإكس.

٥- إذا تجاوزت اللاعبة بالبلاطة أكثر من مربع واحد بضربة واحدة.

وعند تجاوز هذه المرحلة وبدون أخطاء، تنتقل اللاعبة إلى مرحلة أخرى أكثر صعوبة وتعقيداً، وهي أن تجتاز بالبلاطة مربعين دفعة واحدة وبضربة قدم واحدة. وأخيراً فإن اللاعبة تقف خارج الإكس، بحيث يكون (الإكس) خلفها ثم تلقي بالبلاطة إلى الخلف من فوق رأسها، وينبغي أن تستقر البلاطة داخل أحد المربعات، ولا يجوز أن تستقر على أحد خطوط الإكس أو خارجه، والمربع الذي تستقر فيه البلاطة في هذه الحالة يصبح (ملكاً) لهذه اللاعبة، ويحق لها أن تستريح فيه بالوقوف على كلتا قدميها، أما اللاعبة الثانية فلا يجوز لها عندما تبدأ اللعب أن تدخل هذا المربع، بل عليها أن تتجاوزه مع البلاطة.

٢- **أنا النحلة أنا الدبور:** لعبة شعبية يؤديها صبيان صغيران، يدير كل منهما ظهره للآخر، ويتناوب كل منهما في حمل زميله بمقدار رفعه عن الأرض، وهما يرددان الأغنية التالية:

أنا النحلة

فيرد الأخر: أنا الدبور

أنا مسافر

على استنبول... الخ

٣- **جمّال يا جمّال:** اسم لعبة شعبية. وقد يسمونها (جمّال ابن جمّال) وتتكون من فريق واحد، والعدد غير محدد... يقف أحد الأفراد ووجهه إلى الحائط، وشخص آخر وراءه يقول

العبارة التالية: (جمّال يا جمّال، سرقوا لك جمالك)، فيرد عليه الشخص الذي وجهه إلى الحائط (الطامم) (سيفي تحت راسي، ما بسمع كلامك). وبعد ذلك يختبئ أحد الأشخاص بإيعاز من (الواقف) ويسمى (قمحه)، ثم يكلف شخص آخر بإعادة الكلمات (جمّال يا جمّال...) ويختبئ ويسميه (شعيرة)، وهكذا حتى يختبئ جميع الفريق (الجمال) بشرط أن يأخذ كل منهم اسماً، إما شعيرة أو قمحه، وبعد ذلك يصير الشخص الواقف يسأل (الطامم): أين فلان (قمحة) أو (شعيرة)؟ فيجيبه (الطامم): (قمحة) مثلاً. فإذا عرفه يخرج الشخص من اللعبة، وهكذا حتى ينتهي الجميع. والذين لا يعرفهم (يطمون) واحداً تلو الآخر.

في مجال الغناء، القوالب اللحنية، الرقصات والآلات الموسيقية

١ـ أبو الزلف: قالب لحني منتشر في شمال فلسطين ووسطها وفي لبنان ومنه:

هيهـــات يـــا أم الزلـــف يـــا أم الزلـــف هيـــا

تلتيـــن عقلـــي شـــرد فـــي هـــوى البنيـــه

والزلفاء عند العرب هي المرأة الحسناء، لذلك ربما كانت الكلمة من أصل سامي مشترك، لأن (أم الزلف) في الأصل هو لقب (عشتار) ربة العشق والخصب عند العرب السوريين القدماء. وكان ثوبها الذي ترتديه في الربيع يزدان بكل أنواع الزهر والثمر. والـ (زلف) كلمة عربية قديمة، وهي في القاموس السرياني تعني (الثوب الموشى، الزينة، الجمال، البراءة).

٢ـ أسمر اللون: قالب لحني واسع الانتشار في شمال فلسطين ووسطها وفي البلاد المجاورة ولاسيما لبنان. ومنه:

آخ يـــا أســـمر اللـــون حيـــاتي الأســـمراني

قلبـــي مـــن حســـنك مفتـــون وليـــش العـــالم غـــيراني

في مجال الشهور ـ الأوقات وأحوال الطقس

١ـ الأجرد: اسم يطلق على شهر كانون الأول، لأنه يعري الأشجار من أوراقها.

٢ـ أحْرَمَتْ: كناية عن قلة الأمطار في شهر كانون الأول، أحياناً، وهذا يعني أن الموسم سيكون سيئاً. وقد يقال (أحْرَمَتْ الدّنيا).

٣ـ أيام العجوز: انظر «المستقرضات» فهي اسم آخر لها.

٤- **برد العجوز:** انظر «المستقرضات» فهي اسم آخر لها.

٥- **بنات نعش:** انظر (نجمة الجدي).

٦- **الترم:** لفظ يعني الوقت المحدد أو (الموسم). وهذا اللفظ من أصل لاتيني دخل إلى العربية إبان الحروب الصليبية.

٧- **تِرْوِيحة السَّرْح:** مصطلح شعبي للدلالة على ساعة الغروب وانظر: «ترويحة السرح».

٨- **تقاطب الرماس:** بمعنى أرخى الليل سدوله، كناية عن أن الوقت قد أصبح بعد مغيب الشمس.

في مجال الأسرة والأقارب

١- **ابن مَرَه:** كناية عن الطفل الذي يموت أبوه فتتولى أمه تربيته وتفشل في ذلك، فيعيرونه بتلك العبارة وربما قالوا: «ترباية مرة».

٢- **ابن الناس:** تعبير كانت الزوجة في كثير من الأحيان تنادي وتخاطب به زوجها، فتقول: (يا ابن الناس)، وهو كان يخاطبها أحياناً بقوله (يا بنت الناس)، أو تخاطبه بقولها (يا ابن الحلال) ويخاطبها بقوله: (يا بنت الحلال).

٣- **آخر العنقود:** كناية عن الطفل الأخير بين اخوته. ويطلقون عليه أيضاً اسم: «قريد العش».

٤- **اللي بشلح ثيابه ببرد:** يراد بذلك الأهل والأقارب، إذا اعتزلهم المرء لحق به الضرر والأذى.

٥- **حليبهم فسد:** كناية عن عقوق الوالدين.

٦- **الحمولة:** مجموعة من الأسر ترتبط بروابط القربى. وكان منزل كبير (الحمولة) المكان الذي يجتمع فيه جميع أفرادها، وخاصة أوقات الأعياد...

في مجال الصفات الخَلقية والخُلقية والطباع

١- **الأبجر:** هو من كان ضخم البطن. وفي اللغة: بجر بجراً: امتلأ بطنه من الماء أو اللبن ولم يرو، وعظم بطنه فهو أبجر.

٢- **ابن أصل:** تعبير يقال في من يكون سلوكه شريفاً في وقت يعز فيه ذلك بين الناس.

٣- **ابن عيلة:** أي من أسرة عريقة ذات حسب ونسب وشأن في المجتمع.

٤- **ابن ناس:** لمن كان حسن الأخلاق والسمعة والسيرة والسلوك.

٥- **اجرودي:** أمرد، أجرد. وهم يتشاءمون من (الإجرودي) ويقولون:

«إلعوذ بالله من مره مشعره، وزلمه إجرودي».

٦- **أجقم:** من كان في شكل فمه خلل أو ميل. جمعها: (جقم). وفي أمثالنا الشعبية يقولون: «إحنا جقم وانتو عور، خلي هالطابق مستور». ويضرب لمن كان لديهم عيوب ينبغي ألا يعيروا بعضهم بعضاً.

٧- **إملط:** من لا شعر له، وخاصة شعر الذقن.

في مجال الحِرَف والمِهَن

١- **البَرّاجه:** انظر: (البَصّاره) فهي تسمية أخرى لها. ولفظة (البَرّاجه) من (البروج) وهي الكواكب العظام، (بروج الفلك).

٢- **البَصّارَة:** امرأة من (النَّور) غالباً، كانت تتجول في الأزقة والحارات، وتدق على أبواب البيوت، حيث (تبصّر) للناس (فتُريهم) بختهم وحظهم وطالعهم، وتضرب بالودَع، وذلك مقابل بضعة قروش، وهي تنادي أثناء تجوالها: «بصّاره، برّاجه».

٣- **البِلاّنِيه:** المرأة التي تخدم في الحمّام. وهي نفسها في الفصحى. وأصل اللفظة من اليونانية، و(بلاّن) في اليونانية تعني (الحمّام).

٤- **تَلْميعَه:** عبارة ينادي بها ماسح الأحذية.

٥- **الجَمّالِه:** سائقو الجمال. مفردها (جَمّال).

٦- **الحَجّارَة:** هم الذين ينقلون الحجارة على ظهور الحمير. وتسمى هذه الحمير (حمير الحجّارة)، وتكون عادة مخصيّه كي تظل قوية قادرة على السيْر بأحمالها الثقيلة من الحجارة. لذلك فإنهم يشبهون الرجل الذي تطول فترة عزوبيته بـ(حمير الحجّارة).

الألـــوان

١- **الأبْيَضاني:** الإنسان ذو البشرة البيضاء.

٢- **باهِتْ:** ليس له صبغة معينة. لا لون له. عديم اللون. والفعل (بَهَتْ).

٣- **بُرْدُقاني:** ما كان لونه بلون البرتقال. واللفظة محرفة عن لفظة (البرتقال).

٤- **بَنَفْسَجي:** ما كان لونه كلوْن أزهار البنفسج.

٥- **بُنّي:** بلون (البُنّ) بعد أن يجري تحميصه.

٦ـ **حَشِيشي:** أخضر كلون الحشائش.

٧ـ **الحَمار:** الإحمرار. الحُمْرَة. ومنه (على حمَار) ضارب إلى الحُمْرَة.

٨ـ **حِنْطي:** بلون الحنطة وهي القمح، وغالباً ما يكون اللون الحنطي لبشرة الوجه.

٩ـ **حَوَّرْ:** صار لونه أبيض. المصدر (تَحْوير) واسم الفاعل (مْحَوَرْ).

١٠ـ **الخاكي:** و(الكاكي) نوع من القماش أغبر اللون (أسمر وأصفر معاً). واللفظة إنكليزية الأصل (Khaki).

١١ـ **خَمْري:** ما كان لونه بلون الخمْرة، ويكون أحمر ضارباً إلى السواد.

١٢ـ **ذَهَبي:** بلون الذهب. ومنه (مْذَهَّبْ)

في مجالات التعابير والمفردات الاصطلاحية

١ـ **أبو كَمَوْنِه:** لقب يُطلق على من كان بخيلاً شحيحاً مقتّراً في الإنفاق على نفسه وعلى الآخرين، حريصاً جداً على المال. والتسمية مأخوذة من (الكَمَون) وهو نبات عشبي حولي زراعي من فصيلة الخيميات، وبذوره من التوابل، له أصناف كثيرة منها الكمون الحلو وهو (اليانسون).. وسبب هذه التسمية أن رأس ثمرة الكمَون مغلق مثل يد البخيل.

٢ـ **اتْركَى:** استند ـ اتكأ. والمصدر (تركايه) واسم الفاعل (مِتْركّي).

٣ـ **الاخْوَتْ:** الأحمق مفردها (خوثا) وجمعها (خُوْث). وهم يقولون: «إعط الاخوث كْراه ولا تستكريه» للحث على عدم استخدام الأحمق.

٤ـ **ارتْكَى:** اتكأ ـ اضطجع ـ واسم الفاعل (مرتْكي).

٥ـ **استْعفى:** ترك عمله. قدّم استقالته من وظيفته. طلب إعفاءه من العمل. واسم الفاعل (مستعفي).

٦ـ **إسَّه:** هذه الساعة.

٧ـ **الأُطُمْبيلْ:** السيارة وجمعها (أُطُنبيلات) واللفظة فرنسية الأصل (Automobile).

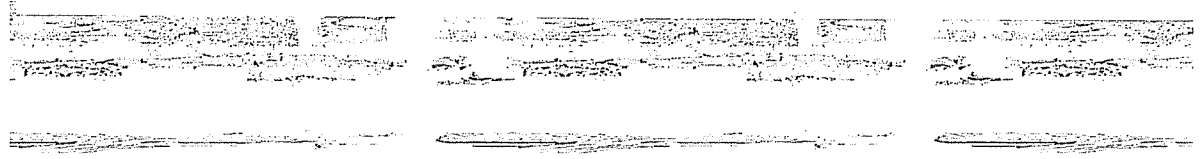

6

أفكار صهيونية حول المجازر والترحيل

تجنب الباحثون والكتاب الذين عالجوا الموضوع الفلسطيني، فكرة ترحيل العرب الفلسطينيين من ديارهم حيث أنه موضوع شائك، ويطرح ضرورات دراسة الأهداف الأساسية للحركة الصهيونية. حيث كانت فكرة الترحيل للعرب الفلسطينيين من ديارهم ومازالت تتبوأ لدى القيادة الصهيونية والحكومات الإسرائيلية المتعاقبة مقاما هاما في الفكر والتخطيط والعمل، وبطبيعة الحال فإن فكرة ترحيل العرب من أرضهم فلسطين قديمة قدم المستوطنات القديمة الأولى في فلسطين ونشوء الصهيونية السياسية بحد ذاتها. ومنذ أيام هرتسل. فإن أهداف الحركة الصهيونية، تركزت حول هجرة اليهود إلى فلسطين، انتهاءً بإقامة دولة صهيونية يهودية وهي ترتبط بفكرة الترحيل ارتباطاً لا يمكن فصله في تفكير القيادة الصهيونية ونشاطها وقد تغير طابع فلسطين العربية اثنيا ودينيا وسكانيا، مع ما واكب ذلك عن ترحيل أكبر عدد ممكن من سكانها الأصليين إلى خارج الدولة اليهودية المنشودة، من كونه مجرد حلم صهيوني عبر مقترحات وخطط مبرمجة منذ سنة ١٩٣٧ حتى أصبح خططاً عملية كخطة (دال مثلاً) وسياسة واقعية سنة ١٩٤٨[١٧].

وبغض النظر عن الأفكار والمقترحات الصهيونية في شأن ترحيل الفلسطينيين عن ديارهم، فإن ذلك يؤكد أن عمليات الطرد وارتكاب المجازر الصهيونية من أجل ذلك كان تتويجاً لتلك الأفكار، التي ارتكزت أساسياً على قواعد أساسية:

أولاً: طرد ما أمكن من العرب من أرضهم.

ثانياً: جذب مزيد من يهود العالم كمادة بشرية أساسية للدولة اليهودية.

ثالثاً: إنشاء اقتصاد قوي بدعم غربي للإبقاء على عوامل الجذب القوية لليهود.

رابعاً: إنشاء جيش صهيوني يحمي «الإنجازات» الصهيونية المختلفة المرحلية في فلسطين والمنطقة العربية.

تبعاً لتلك الأفكار الصهيونية الهادفة لانتزاع فلسطين من أهلها، ارتكبت العصابات الصهيونية الشتيرن، والهاغاناة، والأرغون، عشرات المجازر في القرى والخرب والمدن الفلسطينية، خلال فترة الانتداب البريطاني (١٩٢٠ ـ ١٩٤٨)، هذا فضلاً عن مجازر في الأسواق الرئيسية في المدن الفلسطينية، ونسوق أمثلة عليها[١٨]:

١ـ في ١٩٣٨/٣/٦ وضعت العصابات الصهيونية عبوات ناسفة في سوق حيفا، ذهب ضحيتها (١٨) شهيداً عربياً.

٢ـ في ١٩٣٨/٧/٦، ذهب نتيجة لنفس الأسباب (٢١) شهيداً عربياً إضافة إلى العديد من الجرحى.

٣ـ ١٩٣٩/٦/١٢، هاجمت عناصر من الهاغاناة الإرهابية الصهيونية قرية بلد الشيخ، الجنوب الشرقي من حيفا، واختطفت خمسة من سكان القرية وقتلتهم فيما بعد.

٤ـ في ١٩٣٩/٦/١٩ تفجيرات صهيونية في سوق حيفا ذهبت ضحيتها (٩) أشخاص، وفي ٦/٢٠ من نفس العام سقط (٧٨) شهيداً نتيجة لتفجيرات صهيونية في سوق حيفا أيضاً.

ونتيجة التفجيرات الصهيونية في أسواق حيفا في عام ١٩٤٧، استشهد كل من الطفل إبراهيم رضوان السهلي، إضافة إلى أمين رفعت السهلي، والشهيد أحمد خريبيش.

وقد جرت اعتداءات ومجازر صهيونية في كل من أسواق يافا وحيفا والقدس والمدن الأخرى، وكذلك في محطات الركوب الأساسية في تلك المدن، إلا أن زخم المجازر الصهيونية ارتفع إلى أوجه ما بين عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨، وصولاً إلى الترحيل الكبير عام ١٩٤٨ الذي طال نحو (٨٠٥) آلاف فلسطيني من ديارهم، ينتمون إلى (٥٣٢) قرية فلسطينية، من بين الذين طردوا نحو (١٢١١٩٦) فلسطينياً من (٥٩) قرية في قضاء حيفا ومنهم أهالي قرية بلد الشيخ، وقد هُجّر أهالي فلسطين في عام ١٩٤٨ في الغالب تحت وطأة المجازر.

ويشير الباحث الدكتور سلمان أبو ستة، أن تهجير (٩٠) من القرى الفلسطينية في عام ١٩٤٨ كان سببه هجوم عسكري صهيوني مباشر، و(١٠٪)، تم تهجيرهم تحت هاجس الخوف من هجوم صهيوني قادم ومجزرة مؤكدة قادمة[١٩].

وللدلالة أكثر على التخطيط الصهيوني المسبق لاحتلال الأراضي الفلسطينية وطرد أهلها العرب، يمكن قراءة ما جاء في الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني من القسم العام، حيث أكد الفصل الخاص بذلك، أن عصابة الهاغاناة الصهيونية وضعت خمسة مخططات من أجل ذلك

وجميع تلك المخططات سبقت إنشاء الدولة الصهيونية. فالخطة الأولى تدعى خطة دال، (*) وضعتها قيادة الهاغاناة في آذار /١٩٤٨/، وتستهدف إفراغ فلسطين من أهلها تحت وطأة المجازر وتقتضي الخطة بأن يحتل لواء كرملي بلد الشيخ في عملية احتلال حيفا ذاتها ما سبقتها في ذلك الخطة (أ) في عام ١٩٤٣، وتنص على استكمال شبكة المستعمرات الدفاعية لتغطي الساحل الفلسطيني من الناقورة على الحدود اللبنانية شمالاً، حتى رفح جنوباً على حدود مصر، إضافة إلى إنشاء مستوطنات في بيت لحم ووادي الأردن شرقاً، وجنوباً في بئر السبع، أما الخطة (ب) فقد وضعت في شهر أيلول ١٩٤٥ وتتضمن العمليات العسكرية الواجب تنفيذها إذا تعرضت المستعمرات الصهيونية لأي هجوم عربي، وذلك بتقوية المستعمرات نفسها بالتعاون فيما بينها، وأكدت الخطة على ربط المستوطنات وضرورة الربط فيما بينها ليسهل تعزيز كل واحدة تتعرض لهجوم، في حين تذهب الخطة (جـ) التي وضعت في أيار ١٩٤٦ إلى أبعد من ذلك، وتستهدف استعمال شبكة المستعمرات وتأمين القوى والوسائل اللازمة للدفاع عن كل منها، وخطط التعاون فيما بينها، أما الخطة الخامسة وتدعى خطة (يوشع) فبعد قرار التقسيم وإعلان بريطانيا نيتها الجلاء عن فلسطين، وضعت الوكالة اليهودية في مطلع عام ١٩٤٨ الخطة المذكورة للاستيلاء على أراضي فلسطين بعد انتهاء الانتداب، وفي هذا الإطار، أي في إطار الخطط المذكورة، كانت قرية بلد الشيخ مستهدفة ومبرمج لاحتلالها قبل عام ١٩٤٨ وهو عام النكبة والترحيل، ولم تكن عمليات ارتكاب المجازر الصهيونية وترحيل الفلسطينيين ردة فعل على مهاجمة الفلسطينيين لبعض المستوطنات أو مراكز العصابات الصهيونية كما تدّعي بعض المصادر الصهيونية، لكنها (أي المجازر) خطط لها قبل النكبة وأسس لها في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بازل السويسرية في أب ١٨٩٧.

(*) انظر خطة دال وغيرها من الخطط الصهيونية، في الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، المجلد الثاني ١٩٨٤ ص٣٩١- ٣٩٢.

7 مجزرة قرية بلد الشيخ

«إن الوضع في فلسطين سيسوى بالقوة العسكرية» بهذه العبارة الشهيرة لبن غوريون أول رئيس وزراء إسرائيلي، اختزل قادة الحركة الصهيونية لإسرائيل أهم المنطلقات الاستراتيجية لتحقيق الأهداف الصهيونية في فلسطين. فخلال فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ارتكبت العصابات الصهيونية (١٢) مجزرة في القرى الفلسطينية، في حين تم ارتكاب (١٣) مجزرة بعد الإعلان عن إنشاء الدولة الصهيونية في يوم الجمعة ١٤ أيار ١٩٤٨، ومن مجموع المجازر الصهيونية بحق الفلسطينيين العزل، تم ارتكاب (١٩) مجزرة في الشمال الفلسطيني، وثلاث مجازر في الوسط الفلسطيني، وثلاث مجازر في الجنوب الفلسطيني، وهناك مجازر عديدة ارتكبت بيد أن الإعلام لم يسلط الضوء عليها من بينها مجزرة بلد الشيخ فجر يوم الخميس الواقع في الأول من كانون الثاني عام ١٩٤٨، وكذلك مجزرة الطنطورة التي تم الحديث عنها متأخراً والتي تمت يوم الخميس ١٣/٥/١٩٤٨، وكانت المجازر تتم في القرى والخرب الفلسطينية بعد تطويقها من ثلاث جهات، في حين تترك الجهة الرابعة كمنفذ وحيد لهروب الناجين من المجازر، حتى يتسنى بعد ذلك نقل وقائع المجازر للقرى الأخرى، ويدب الرعب وتتم عملية التهجير خوفاً من هجوم قادم [٢٠].

ويشار إلى أن كافة المجازر الصهيونية المرتكبة بحق القرى الفلسطينية، إنما هي عمليات عسكرية منظمة استهدفت الطرد الجماعي للفلسطينيين وإفراغ أرضهم وبعد ذلك تهويدها وتغيير معالمها، وكان يتم تنفيذ المجازر الصهيونية بعد استطلاع من العصابات الصهيونية للقرى الفلسطينية وأهلها قد يمتد لبضعة أيام، وهذا ما جرى فعلاً قبل مجزرة بلد الشيخ، ففي عام ١٩٤٧ تم القبض على ضابط من البلماخ يدعى حنان زلينغر ألماني الجنسية وقد تم قتله بعد محاولته الهرب في وادي الحاج يحيى أحد وديان قرية بلد الشيخ [٢١].

وفي عام ١٩٤٧ وبالتحديد في ١١/١١/١٩٤٧، قتلت عصابة الهاغاناة الصهيونية عدداً من أهالي قرية بلد الشيخ، وكان ذلك مؤشراً على التحفير للهجوم على القرية باعتبارها أحد المراكز الرئيسة لقادة الثورة الفلسطينية، وباعتبار القرية مفصلاً هاماً يربط حيفا بجنين، وكذلك تعتبر

معبراً إلى مناطق الشمال الفلسطيني، وهي بذلك، أي قرية بلد الشيخ، ذات أهمية استراتيجية في المجال العسكري.

وتذكر الوثائق التاريخية، وكذلك كبار السن من قرية بلد الشيخ، بأنها كانت حاضنة الثورات الفلسطينية المتعاقبة منذ ثورة البراق عام ١٩٢٩، مروراً بثورة عام ١٩٣٦ وصولاً إلى الثورات الأخرى، فكان يتردد على القرية ويقطن فيها أحياناً العديد من قادة ثورة ١٩٣٦ منهم الشيخ ديب من إجزم، وقد ناسب أهل قرية بلد الشيخ عن طريق ابنته صفية التي تزوجها عثمان أبو شام، ومن بين المجاهدين الذين ترددوا وعاشوا في القرية، الشيخ رشيد، ومن أهلها الشيخ عطية، فضلاً عن الشيخ ابراهيم القصيني، وجميع هؤلاء هم من رجالات المجاهد عز الدين القسام الذي هيأ للثورة الفلسطينية الكبرى في عام ١٩٣٦، والذي يرتبط بدوره بعلاقة نسب مع أهل القرية عن طريق ابنته المرحومة عائشة، أم صلاح السهلي، وزوجها هو الشيخ مصطفى عيسى السهلي.

وقد انضم العديد من أهل القرية إلى الثورات المتعاقبة، وسجن العديد منهم، بتهمة الانضمام للثوار، وتزويدهم بالمؤن والمواد الغذائية، أو على خلفية إطلاق النار على السيارات اليهودية أو إحراقها وقطع الطريق الرئيسي الذي يصل حيفا بجنين مروراً بقرية بلد الشيخ، ومن بين السجون التي أوقف فيها شباب قرية بلد الشيخ نتيجة نضالاتهم، سجن كركور قرب طولكرم، وسجن عكا أيضاً.

وبعودة بسيطة إلى المصادر المختلفة، يمكن توصيف المجزرة التي ارتكبتها الهاغاناة في قرية بلد الشيخ كخطوة وبداية لطرد أهلها، فقد أشار كتاب تاريخ الهاغاناة الذي اعتمد عليه وليد الخالدي كمصدر في موسوعته حول تدمير القرى الفلسطينية، بأن الهاغاناة ارتكبت مجزرة في بلد الشيخ في نهاية يوم الأربعاء ١٩٤٧/١٢/٣١، وفجر يوم الخميس ١٩٤٨/١/١، حيث قامت قوة قوامها (١٧٠) رجلاً من البلماخ، بتطويق بلد الشيخ، وإلحاق الأذى بأكبر عدد من الرجال، وتخريب الممتلكات، والإحجام عن التعرض للنساء والأولاد، وقد خلف المهاجمون الصهاينة أكثر من (٦٠) قتيلاً، لكن على الرغم من الجملة الأخيرة التي وردت في «تاريخ الهاغاناة»، فقد كان من بين الضحايا نساء وأطفال، وجاء في تقرير وضعته القوة المهاجمة بعد تلك العملية، أنه بسبب نيران أطلقت داخل الغرف، كان من المستحيل تجنب إلحاق الأذى أيضاً بالنساء والأطفال، وقد دمّر في أثناء الهجوم عشرات المنازل، وكانت هذه المجزرة كما يؤكد الخالدي بناءً على «تاريخ الهاغاناة» بمثابة ثأر لمقتل عمال يهود في مصفاة النفط في اليوم السابق أي يوم الأربعاء

١٩٤٧/١٢/٣١، وقيل حينها إن عمالاً فلسطينيين من القريـة قـاموا بذلك رداً علـى قنبلـة فجرتهـا عصابة الأرغون (*) عند أبواب مصفاة النفط في حيفا، قتل جرائها (٦) عمال فلسطينيين وجرح (٤٢)، وذلك استناداً إلى صحيفة فلسطين، حيث جاء في الصحيفة أن الضحايا الفلسطينيين سقطوا نتيجة إلقـاء قنبلـة مـن سيارة كـانت تمـر بالمكـان مسـرعة، بينمـا كـان العمـال يقفـون فـي صـف الاستخدام خارج المصفاة لتسجيل أسمائهم فـي لوائـح العمـل، وبفعـل القصـف الجـارف بعد ذلـك الهجـوم، انقـض العمـال الفلسـطينيون علـى العمـال اليهـود فقتلـوا (٤١) منهـم، وكـانت الهاغانـاة ولسـخرية الأقـدار وصفـت هجـوم الأرغـون الأول بأنـه غـير مسـؤول، وفـق مـا ذكـره المـؤرخ الإسرائيلي بني موريس (٢٢).

لكـن المصـدر الأخـر وهـو الموسـوعة الفلسـطينية، أشـار أن هنـاك معطيـات أخـرى حـول المجزرة اليهودية المرتكبة بحق الأبرياء من قرية بلد الشـيخ، وتؤكـد أنـه فـي نهايـة شـهر كـانون الأول سنة ١٩٤٧، ثار العمال العرب في شركة مصفاة بترول حيفا على الصهيونيين العاملين في الشركة نفسها، بعد أن انفجرت قنبلة خارج بناء المصفاة، وقتلت وجرحت عدداً من العمال العرب القادمين إلى المصفاة. وقد هاجم العرب الصهيونيين داخل المصفاة بالمعـاول والفـؤوس وقضبـان الحديد وقتلوا وجرحوا منهم ستين، وكان قسم كبير من العمـال العـرب فـي المصفـاة يقطنـون فـي قرية بلد الشيخ إلى الجنوب الشرقي من مدينة حيفا على مسافة خمسـة كيلـو مـترات علـى طريـق حيفا الناصرة، والمجاورة لمستعمرة «نيشر» الصهيونية شرقها، لذلك خطط الصهيونيون للانتقام لقتلاهم في المصفاة بمهاجمة قرية بلد الشيخ، وأعـد الصـهيونيـون بعـد حوالـي أسـبوع مـن حادثـة المصفاة خطة للانتقام لقتلاهم في المصفاة ولإشاعة الذعـر ونشـر الخـوف بيـن العـرب مـن أجـل تهجيرهم من قراهم وإخلاء فلسطين في الوقت ذاته. وقـد بـدأ هجومهـم بعـد منتصـف الليـل وفـي بدايات اليـوم الأول مـن كـانون الثـاني سـنة ١٩٤٨، وكـان عـدد المهـاجمين بيـن (١٥٠ ـ ٢٠٠) صهيوني قدموا من التلال الواقعة جنوبي بلد الشيخ، وقد ركزوا هجومهم على أطرافها، ولم يكـن لدى العرب آنذاك السلاح الكافي، ولم يتعد الأمر وجود حراسات محليه بسيطة في الشوارع، وقـد فاجأ الصهيونيون من الهاغاناة البيوت النائية في أطراف قرية بلد الشيخ، وقذفوها بالقنابل اليدوية، ودخلوا على السكان النائمين، وهـم يطلقـون نيـران رشاشـاتهم، وقـد اسـتمر هجـوم اليهـود سـاعة انسحب إثرها الصهيونيون في الساعة الثانية صباحاً بعد أن هاجموا حوالي عشرة بيـوت، وذهـب ضحية الهجوم الصهيوني على قرية بلد الشيخ «٣٠ » شهيداً و«٦٠» جريحاً، معظمهم من النساء

(*) تؤكد مصادر أخرى أن عناصر الايتسل (المنظمة العنصرية الصهيونية) التي كان يرأسها مناحيم بيغن، هم الذين ألقوا القنابل على العمال خارج مصفاة النفط في حيفا.

والأطفال، في حين ترك الصهيونيون المهاجمون خلفهم عدداً من الرشاشات والقنابل، والذخائر، وشوهدت بقع دماء دلت على تصدي الحرس المحلي وكذلك أهل القرية بسلاحهم المتواضع للمهاجمين الصهيونيين. كما تدل بقع الدماء التي سالت من الصهيونيين أن هناك ثمة قتلى وجرحى بينهم. (٢٣)

ويشار إلى أن مصفاة البترول الريفينري في حيفا، والتي تتبع أراضيها لأهالي قرية بلد الشيخ، كانت تضم (٤٠٠) عامل يهودي، قسم كبير منهم من أصحاب المهن، إضافة لنحو (٢٠٠٠) عامل عربي. (٢٤) ومن بين العمال، شباب من قرية بلد الشيخ، ومنهم، قاسم عبد الله الخطيب، وحسن نمر السهلي (أبو خالد)، وأحمد عبد الحفيظ السهلي (أبو سهيل)، وهؤلاء حضروا ردة الفعل العربية داخل المصفاة على مجزرة الأرغون التي وقعت خارجها، ويذكر حسين نمر السهلي، أن من بين القتلى اليهود في الريفينري محلل كيميائي يهودي كان يدعى (ماينهارت)، كما جرح برسكال، وهو مسؤول الغاز في المصفاة، ويعمل ضابطاً برتبة ملازم في منظمة الهاغاناة الإرهابية في الوقت نفسه، ويؤكد أن حليم حبيبي كان المدير الإداري للمصفاة، ونائبه محمد الحصري.

ومن الأهمية الإشارة أن الهاغاناة بعد احتلال حيفا وقرية بلد الشيخ خلال الفترة (٢١ ـ ٢٥) نيسان ١٩٤٨، أعدمت في ٢٧ نيسان سبعة من العرب كانوا موظفين سابقين في مصفاة النفط (الريفينري) كانوا كما يُزعم، حاضرين إبان الاشتباكات العربية ـ اليهودية في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٧، ويبقى التأكيد أن فكرة ترحيل سكان حيفا العرب، كانت بالتأكيد ترتبط بفكرة الترحيل في تفكير بن غوريون، وترتبط بصورة أكثر تحديداً بأوامره العامة التي أصدرها في أواخر الثلاثينيات من أجل تهويد مدينة حيفا الغنية بمبانيها.

8

ذاكرة أهالي القرية حول الترحيل

كما أسلفنا سابقاً، فقد أشار أهل القرية بأنه بعد رفضهم تسليم أسلحتهم في يوم الخميس ١٩٤٨/٤/٢٤، تم قصف القرية من أطرافها خاصة من حمية الخبطة، فاضطر أهل القرية للرحيل تحت وطأة الخوف من مجازر قادمة، فانسحب بعض الشبان الذين كانوا منتمين إلى الثوار باتجاه الشرق وصولاً إلى جنين، في حين أبعد أهل القرية قسرياً خاصة الأطفال والشيوخ والنساء بسيارات إنكليزية شمالاً باتجاه الناصرة، حيث مكثوا لفترة وجيزة ومن ثم تابعوا مسيرهم إلى لبنان وبعدها إلى سورية، حيث تعيش غالبية الأسر التي تنتمي إلى قرية بلد الشيخ في العاصمة دمشق، وفي مخيم اليرموك تتركز أعداد كبيرة منهم، وهناك حارة إلى الشرق من المخيم تسمى بحارة السهلية حيث التجمع الأكبر لأهالي قرية بلد الشيخ في الشتات، شأنها في ذلك، أي الحارة، شأن الحارات الأخرى في المخيم التي تضم أهالي القرى الفلسطينية المهجرة، لوبية، صفورية، الطيرة، وغيرها.

ومنذ عام ١٩٦٤، وهو العام الذي أنشئت فيه منظمة التحرير الفلسطينية، وبعد انطلاقة فصائل العمل الوطني الأخرى، انضم العديد من أهالي قرية بلد الشيخ إليها، حيث رفعت شعارات العودة عند انطلاقتها، وكان هذا الشعار هاجساً، انتقل بالتواتر من الأجداد إلى الآباء ومن ثم إلى الأبناء، وقد سقط العديد من أهالي قرية بلد الشيخ بين شهيد وجريح. ويؤكد أهل القرية أنه قتل في المعركة داخل مصفاة النفط الريغيني نحو (٨١) يهودياً، وكان ذلك قبل نحو عشرة أيام من بداية عام ١٩٤٨، وقبل رأس السنة الميلادية بنحو أسبوع قتل الضابط اليهودي الذي جاء للتجسس على القرية ويدعى «حنان» وقد قتل في وادي الحاج يحيى عندما حاول الهرب، وفي الساعة الواحدة صباح يوم ١٩٤٨/١/١ تم الهجوم على قرية بلد الشيخ من ثلاثة جهات من الشرق، ومن الغرب، ومن الجنوب، ويجمع أهالي قرية بلد الشيخ أن معركة مصفاة النفط، والتحضير لمجزرة قرية بلد الشيخ التي ارتكبتها عصابة الهاغاناة، امتدت لنحو عشرة أيام حتى وقوع المجزرة.

ومن جهتهم، وبعد تلمس الخطر على قرية بلد الشيخ، خاصة بعد تشرين الثاني ١٩٤٧ حين هاجم اليهود القرية وألقوا بقنبلة يدوية على أحد المقاهي (*) في الطريق العام في قرية بلد الشيخ ذهب ضحيتها الشهيد جميل عبود، وجرح آخر، توجه أربعة أشخاص من قرية بلد الشيخ إلى سورية، واشتروا اثنتي عشرة بندقية، وعند رجوعهم إلى القرية وجدوا أن هذه الأسلحة لا ترقى إلى الاستعدادات الصهيونية، وهنا أخذ أهالي القرية يتبرعون لشراء كمية من الأسلحة، فسافر الوفد مرة ثانية إلى الشام وحمص وحماة، فاشتروا سبعة وعشرين بندقية وثلاثة رشاشات ومدفع تومي، وفي أثناء غياب الوفد في سورية لشراء السلاح وقعت مجزرة بلد الشيخ ليلة الأربعاء، بعد قصف كثيف من جهة الجبل في الشرق والجنوب. ويذكر أهالي القرية بأن الفريق الذي توجه إلى دمشق لشراء الأسلحة تألف من حسن محمد علي السهلي، والحاج صبحي العوض، ومصطفى السهلي، ويذكر أهالي القرية، وعزيز يونس السهلي، أنهم اشتروا بما يزيد عن ألف جنيه فلسطيني أسلحة، وفيما بعد جمعوا تبرعات بلغت «١٨٠٠ » جنيه أيضاً لشراء الأسلحة.

نموذج من ذاكرة ترحيل أهالي القرية (**)

إلى الغرب من دمشق، وفي منطقة داريا،كان اللقاء التالي مع أم مصطفى الولي من قرية بلد الشيخ التابعة لقضاء حيفا المدينة الساحلية في فلسطين. وبداية وبعد أن شرحنا هدف اللقاء والذي يندرج في إطار الذاكرة الفلسطينية بعد نصف قرن من النكبة، قامت الحاجة صبحية مرشد زيدان (أم مصطفى) بالحديث عن بطاقتها التعريفية، فقالت أنها من مواليد بلد الشيخ قضاء حيفا ١٩٢٩، وتزوجت من المرحوم عبد الواحد عبد الله الولي من مواليد نفس القرية عام ١٩٢٧، وقد تم عقد الزواج بينهما، حسب الوثيقة التي حملتها خلال فترة الشتات وما تزال، بتاريخ ١٩٤٤/٨/١٨م، الموافق للتاسع والعشرين من شعبان سنة (١٣٧٣) للهجرة، وكان المهر المعجل والمؤجل حسب عقد الزواج المرفق (٣٠٠) جنيه فلسطيني منها (٢٢٥) جنيهاً كمعجل و(٧٥) مؤجلاً، وقد ظهر على العقد طابع فلسطيني بقيمة عشر ملات فلسطينية آنذاك. واستطردت أم مصطفى قائلة، عندما بدأت الأرض تخضوضر في نيسان ١٩٤٨، بدأت قصة الرحيل والشتات فالضرب والمدافع على قرية بلد الشيخ من كل حدب وصوب، وقد اضطرت تحت وطأة الضغط العسكري أن تهجر القرية باتجاه جنين في الضفة الفلسطينية، حيث غالبية أهلها، وتبعها إلى هناك

(*) كان يوجد في قرية بلد الشيخ أربع مقاهٍ، مقهى الشيخ صالح السهلي، ومقهى محمد يعقوب السهلي، ومقهى الشخشير، ومقهى عزيز اليونس السهلي الذي نسف في عام ١٩٣٦، وكذلك يوجد في القرية ثلاثة أفران أهمها فرن المرحوم خالد الخطيب (أبو توفيق).

(**) نشرت هذه المقابلة في مجلة صوت فلسطين، في آب عام ٢٠٠٠، وقد جرت المقابلة عشية الذكرى الخمسين للنكبة.

زوجها المرحوم عبد الواحد الولي وكان لأم مصطفى بنت عمرها آنذاك أي في نيسان ١٩٤٨ سنتان ونصف السنة اسمها خديجة في حين كان عمر مصطفى شهران ونصف الشهر، وغالبية الأهل المهجرين من قريتنا سواء باتجاه الضفة أو سورية لا يملكون فراشاً ولا فلوساً كافية، خاصة وأن كل الظن بأن العودة قريبة لاتتجاوز أسبوعين، فضلاً عن ذلك فإن كافة سكان قرية بلد الشيخ قد دفعوا الفلوس المتوفرة لموسم الزراعة في أوائل عام ١٩٤٨.

تابعت أم مصطفى: قام بنقلنا إلى دمشق أحد عشر تركتوراً، وذلك مع عائلات فلسطينية أخرى، وقد نزلنا في قلعة بصرى الشام لمدة خمسة أيام، وبعد ذلك تم الرحيل إلى دمشق حيث غالبية الأهل أتوا إليها عبر لبنان، واستأجرت عائلة أم مصطفى الولي بيتاً كبيراً في سوق ساروجة في وسط دمشق /حارة قولي/ والمنزل هو ملك الحاج رشيد داود آغا، وكانت أجرته آنذاك خمس ليرات سورية حتى عام ١٩٥٠، إذ رحلت العائلة إلى المزة «السوق الجواني» وسكنت في منزل عربي، هو ملك لعبده كرما، الأمر الذي سهل الاستئجار وتأمين الحياة اليومية للعائلة هو الجد عبدالله الولي الذي هجر من بلد الشيخ، واستطاع الاحتفاظ بنحو (٥٠٠) جنيه فلسطيني أنذاك، وكان الجنيه يساوي نحو عشر ليرات سورية، واستطاع شراء فراش جاهز لكافة أفراد العائلة، وبعد ذلك قامت وكالة الغوث بتوزيع المؤن من عدس وزيت وسمنة وسكر ونباس على العائلات الفلسطينية، ومن بينها عائلة أم مصطفى. رحلت عائلة أم مصطفى عندما كان زوجها على قيد الحياة إلى كفرسوسة في العام ١٩٥٨، حيث سكنوا حارة الحمّام، بمنزل ملك لمحمد ناصر الريحاوي.

توفي الجد عبدالله الولي عام ١٩٦٤ في كفر سوسة، وكان عمره آنذاك (٦٣) عاماً. وبقيت بحوزة أم مصطفى وزوجها بعض الوثائق، وخاصة كواشين ملكية الأراضي، وعقد الزواج. وحين توفي أبو مصطفى الولي في العاشر من آب ١٩٩٢، كان له أربعة أولاد ذكور إضافة إلى ابن استشهد عام ١٩٧٩، فضلاً عن ابنتين هما خديجة وأسماء، وعلى الرغم من وفاة الأب احتفظت أم مصطفى حتى تاريخ لقاء الاتحاد الظبيانية بتاريخ ١٩٩٨/٤/٩، بأهم الوثائق التي تثبت الملكية لعبدالله الولي الجد، وكذلك بعقد زواجها من المرحوم عبد الواحد الولي. ويذكر أن عائلة أم مصطفى كانت قد أقامت في داريا في العام ١٩٧٩، أي بعد إقامة دامت (٢١) عاماً في كفرسوسة. وبعد السؤال عن أملها بالعودة إلى قريتها (بلد الشيخ) بعد نصف قرن من النكبة ورحلة الشتات، أجابت أم مصطفى الولي، بأنها كلها أمل في ذلك.

توفيت أجيال، وولدت أجيال فلسطينية خلال نصف قرن، والوطن ذاكرة، وأمل وعمل، وقوافل شهداء رسمت الطريق نحو الوطن، فالأتراك بعد أربعة قرون من الاحتلال رحلوا، ومن قبلهم الصليبيون، ولابد أن نرى يوماً رحيل الصهاينة عن بلادنا إنشاء الله. ومن الأهمية بمكان

الإشارة إلى أن العصابات الصهيونية قد ارتكبت عدة مجازر في قرية بلـد الشيخ فـي أوائـل عـام ١٩٤٨، فذهب ضحيتها أربعون شهيداً.

وقد دفن في القرية جثمان الشهيد عزالدين القسام الذي استشهد في يعبد قضاء جنين في عام ١٩٣٥، وكانت جنازته امتدت في حشدها المهيب آنذاك من مدينة حيفا الفلسطينية الساحلية حتى مقبرة الشهداء في بلد الشيخ، أي على نحو أكثر من أربعة كيلومترات، وما تزال رفاته هناك حتى اللحظة، وهناك محاولات صهيونيـة لإزاحتـه وشـطب الذاكـرة الفلسـطينية حـول عزالديـن القسـام ونضالاته في فلسطين، وإعطاء القضية بعدها القومي، وهو الذي هيأ لثورة عام ١٩٣٦، وتربطـه بقرية بلد الشيخ علاقة نسب قوية، فابنته الكبرى عائشة (أم صلاح السهلي) التي توفيت قبل خمس سنوات هي زوجة الشيخ مصطفى السهلي من القرية المذكورة.

وصف المعركة ووقوع المجزرة في ذاكرة أهالي قرية بلد الشيخ

تجمع اليهود من جميع المستعمرات المحيطة بالقرية، من المستوطنين اليهود في قرية حايم، وكفرتا، والشيمرية، ومسحا، وأسلحتهم رشاشات، وتمغن، وستن، وكان عددهم أكثر من (٢٠٠) من الهاغاناة، أحاطوا بقرية بلد الشيخ من جهة الشرق والغرب والجنوب، ومهدوا للهجوم بإطلاق طلقات رشاشات كثيفة باتجاه مساكن القرية، ثم حاولوا دخول القرية بادئين بالبيوت المطرفة في النكروشي وغيرها، وكانوا ينوون إبادة القرية انتقاماً لليهود الذين قتلوا في معركة الريفينري (مصفاة النفط في حيفا) وتهجير أهلها وعندما هبّ أهل القرية للدفاع عنها، توقف الزحف باتجاه الحارات، لكنهم استطاعوا قتل عمر بن محمود الطه وعمره ١١ عاماً، وشريف عبد الوهاب وعمره «٤٠» عاماً، ووالدته أم الشريف وعمرها «٨٠» عاماً، وكذلك ابن شريف واسمه محمد وعمره «٧» سنوات، كما استشهد محمد أبو رزق وعمره «١٦» عاماً، وحسين أبو رزق وعمره (٧) سنوات، إضافة إلى جرح العديد، وكانت حصيلة المجزرة (٤٠) شهيداً ونحو (٣٠) جريحاً، حيث أبدى أهالي قرية بلد الشيخ صموداً في وجه الهجوم المدبر، ولولا هذا الصمود لكان عدد الشهداء والجرحى أضعاف الرقم المذكور، وذلك على الرغم من امتلاك أهالي القرية أسلحة خفيفة مثل رشاشات خفيفة FM، وبنادق إنكليزية، وبنادق فرنسية، والأهم من ذلك أن أهالي قرية بلد الشيخ توقعوا الهجوم المتوقع من السهل شمال القرية في حين تمّ الهجوم من الجهات الثلاث الأخرى، وإلا كانت خسائر القوات الصهيونية أكبر من ذلك بكثير.

ويقول أهل القرية أنه بعد الهجوم الصهيوني الذي استمر من الساعة الواحدة والنصف فجر الخميس ١٩٤٨/١/١ وحتى الرابعة والنصف فجراً، وارتكاب المجزرة، ذهب بعض شبان القرية لتفقد خسائر العدو، فوجدوا شرق القرية وبالتحديد تحت بيت اليموني قطناً مليئاً بالدم، وآثار دماء غزيرة، تؤكد سقوط العديد من الجرحى والقتلى من الصهاينة المهاجمين، وقد استطاع المهاجمون جر قتلاهم وجرحاهم، نتيجة قدراتهم الكبيرة وتحضيرهم المخطط مسبقاً للهجوم على قرية بلد الشيخ.

ويذكر أهالي قرية بلد الشيخ أنه في عام ١٩٤٨، كان أهل القرية يمتلكون أكثر من (١٣٠) قطعة سلاح، منها (١٧) جاءت على شكل تبرعات من الجمعية الإسلامية في حيفا، والتي كان يتزعمها الشيخ نمر الخطيب، ونذكر بعض الأشخاص الذين كانوا يملكون أسلحة، منهم:

١- محمود عبد الأسعد السهلي (بارودة).

٢- عبد يوسف السهلي (أبو رأسين) بارودة إنكليزية.

٣- عبد الوهاب عبد الواحد السهلي (أبو حلمي) بارودة عصملي.

٤- نجيب هاشم السهلي، بارودة.

٥- قاسم المحمود بارودة إنكليزي.

٦- توفيق الحسين (بارودة).

٧- يوسف رضوان السهلي (بارودة).

٨- الحاج رفعت السهلي (بارودة إنكليزي).

٩- يونس عبد المعطي السهلي (العبودة) ستن ومسدس وتومي.

١٠- فوزي عبد الرحمن السهلي، مسدس برايليوم.

١١- عبد الله الولي (مسدس).

١٢- محمد حمد الولي، بارودة.

١٣- حسن (الشيخة) عدة قطع من الأسلحة.

١٤- ناجي أبو زيد، بارودة.

١٥- محمد العوض، بارودة.

١٦- عبد الرحيم من عصيرة الشمالية، برن رشاش.

١٧- محمد خشيمو، توميغان رشاس.

١٨- عزيز اليونس، ثلاث قطع.

١٩- عثمان الهاشم، بارودة.

٢٠- حسين الحشاش، بارودة.

٢١- محمود صالح السهلي، بارودة إنكليزية.

٢٢- خليل النونو، بارودة.

٢٣- محمد النصر، بارودة.

٢٤- نمر السليمان، بارودة.

٢٥- جميل البيعاوي، بارودة.

٢٦- إضافة إلى عشر بوارید وزعت على عشرة متطوعين جاؤوا من حماة لنصرة أهلهم العرب في فلسطين.

ومن بين التبرعات من الجمعية الإسلامية في حيفا يوجد في قرية بلد الشيخ ثلاثة رشاشات متوسطة المدى (FM) حبل.

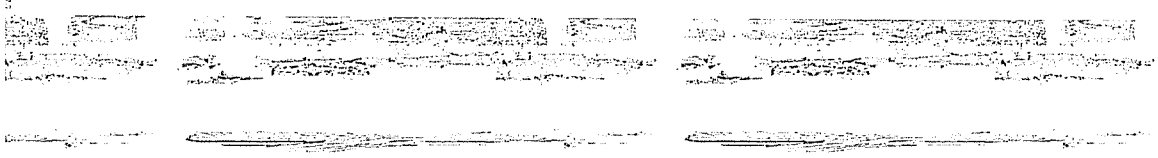

المؤرخ الفلسطيني جميل عرفات ومجزرة بلد الشيخ

نسوق هنا مقالة للمؤرخ الفلسطيني جميل عرفات من قرية المشهد قضاء الناصرة، نشرتها يوم الأربعاء ١٩/٤/٢٠٠٠ صحيفة الاتحاد في حيفا، يصف مجزرة بلد الشيخ، والمقدمات والنتائج، معتمداً بذلك على بعض المصادر الأمريكية والإسرائيلية أيضاً، وكانت مقالته المذكورة في سياق سلسلة مقالات نشرتها الاتحاد الحيفاوية خلال عامي ١٩٩٩ وعام ٢٠٠٠، أوضح من خلالها المؤرخ الفلسطيني المذكور، تاريخ ارتكاب المجازر الصهيونية وتوصيفها في قرى فلسطينية عديدة مثل مجزرة قريتي كراد البقارة والغنامة، ومجزرة قرية الدوايمة، مجزرة قبية، مجزرة العباسية، مجزرة جمزو، مجزرة الولجة، مجزرة عيلوط، المجازر المرتكبة بحق البدو، مجزرة اليازور، وصولاً إلى تأريخه لعمليات الطرد والتدمير بعد قيام الكيان الصهيوني.

توصيف القرية والمجزرة كما جاء عليها المؤرخ حرفياً

* الموقع: أقيمت بلد الشيخ في سهل حيفا عند سفح الامتداد الشمالي الغربي لجبل الكرمل. ترتفع ٧٥ متراً عن سطح البحر.

* السكان والأرض: بلغ عدد سكانها سنة ١٩٤٥ (٤١٢) نسمة وكانت مساحة أراضيها (٥٨٤٤) دونماً. كانت ثانية كبرى القرى في قضاء حيفا. منازلها متقاربة ومبنية بالحجارة والإسمنت. كان فيها عدد من المقاهي ومحطتان للوقود ومدرسة وقد ضمت مقبرتها رفات الشهيد عز الدين القسام.

* الاسم: سميت بهذا الاسم تيمناً بالشيخ الصوفي عبد الله السهلي الذي عاش زمن السلطان سليم الأول العثماني.

* المجزرة: كتب أريه يتسافي، الموظف في شعبة التاريخ في الجيش الإسرائيلي عن المجزرة في عدد ١٤ نيسان ١٩٧٢ في صحيفة «يديعوت أحرونوت» مايلي:

في الشهور الأولى من سنة ١٩٤٨ قامت الهاغاناة والبلماخ بعشرات العمليات التي تتمثل في

مهاجمة قرى عربية، ونسف أكبر عدد ممكن من المنازل بالديناميت. وكان عدد كبير من الشيوخ والنساء والأطفال يلقون مصرعهم في هذه الهجمات، خصوصاً عندما كان يبدي السكان مقاومة أقل، وهنالك العديد من هذه العمليات التي قام بها متطوعو البلماخ، الذين كانوا يدربون على أساس شعار (نقاوة السلاح اليهودي).

وكمثال على ذلك، المجزرة التي حدثت في بلد الشيخ (تل حنان). ففي ليل ٣١ كانون الأول سنة ١٩٤٧ والأول من كانون الثاني سنة ١٩٤٨ قامت قوة مشتركة مؤلفة من الفوج الأول من البلماخ ومن لواء «كرميلي» يقودها حاييم افينوعم بالهجوم على بلد الشيخ. في أثناء هذه العملية قتل ما يزيد على ستين (٦٠) مدنياً في منازلهم، أغلبهم من غير المحاربين. وحسب ما ورد في تقرير قائد العملية. «قد أسكتت قواتنا النيران ودخلت إلى القرية وبدأت العمل في البيوت، حيث جعلت كثافة النيران من المتعذر عليهم أن يتفادوا النساء والأطفال».

أما مراسل «نيويورك تايمز» فقد كتب تقريراً عن هذا الهجوم بتاريخ ٧ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ جاء فيه:

«في ليل ٣١ كانون الأول سنة ١٩٤٧ و١ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ (كانت فلسطين ما زالت تحت الانتداب البريطاني)، شنت الهاجاناه هجوماً على بلد الشيخ وزعمت أن ذلك جاء انتقاماً لمقتل اليهود في الاشتباكات التي وقعت في مصفاة النفط (الريفاينيري). فبينما كانت مجموعة متنكرة بكوفيات بيضاء عربية تطلق النار للتغطية من التلال المشرفة على القرية دخلت مجموعة أخرى، أكبر منها بكثير، إلى أطراف القرية وهاجمت عدة منازل بالقنابل اليدوية والرشاشات فقتلت العديد من المدنيين العزل كان منهم الأطفال والنساء والعجزة».

أما ما كتبه د. ب. مايكل: في كتابه «الكارثة الفلسطينية» ص٨٣ فقد جاء مايلي:

«في الواقع أن هناك قدر كبير من العنف في منطقة حيفا، وقد أوضح رئيس أساقفة الجليل الكاثوليكي (المطران حكيم) الذي كان يقيم في حيفا أنه إضافة إلى مجزرة دير ياسين فقد كانت هناك مجازر أخرى متعددة، أفزعت المدنيين العرب، ومنها إلقاء القنابل بصورة وحشية على مجموعة كبيرة من العمال العرب الأبرياء المجتمعين عند البوابات الخارجية للمصفاة قرب حيفا، والهجوم الليلي الجبان على قرية بلد الشيخ قرب حيفا الذي راح ضحيته عشرات الضحايا من الأطفال والنساء، وهجمات أخرى مشابهة.

وكان لمذبحة المدنيين في بلد الشيخ، إضافة إلى حوادث العنف الأخرى، تأثير مدمر على معنويات السكان العرب في مدينة حيفا في البقاء والدفاع عن أنفسهم.

إن حملة الحرب النفسية الصهيونية كانت عاملاً رئيساً أدى إلى دفع السكان للنزوح عن بيوتهم خوفاً على أرواحهم وأعراضهم، وكانت إذاعة الهاغاناة السرية تستعمل مختلف الأساليب لتقويض المعنويات العربية الفلسطينية، وكانت تحاول إقناعهم دائماً بأنه لم يكن أمامهم سوى الرحيل عن بيوتهم وعدم البقاء فيها».

وجاء في تاريخ الهاغاناة: «إن قوة قوامها (١٧٠) عنصراً من البلماخ أمرت بتطويق بلد الشيخ وإلحاق الأذى بأكبر عدد من الرجال، وقد خلف المهاجمون خلفهم أكثر من (٦٠) قتيلاً كان بينهم عدداً من الأطفال والنساء والعجزة.

لقد برروا ذلك أن سبب القتل الذي حدث للنساء والأطفال هو تعرض القوة المهاجمة لبضع طلقات من النار من داخل الغرف. لقد دمّر هذا الهجوم عشرات المنازل».

أما ما جاء عن شهود العيان فقد قالت الحاجة بهية حمد اسماعيل جرادات من مواليد سنة ١٩١٥ مايلي:

كانت بلد الشيخ مجمعاً للعمال العرب القادمين من كل النواحي من أجل لقمة العيش، للعمل في حيفا، في الميناء، في سكة الحديد، في معامل تكرير البترول والمصانع والمشاغل الأخرى. بدأ الهجوم في الساعة الحادية عشرة مساء، وكانت السماء مقمرة، كان الناس خائفين من مهاجمة اليهود للقرية، مما دفع البعض للقيام بأعمال الحراسة خصوصاً في الجهتين الشرقية والشمالية، لكن الهجوم جاء من الجهة الجنوبية (القبلية) من جهة الجبل ومن جهة الغرب. دخل اليهود القرية بأسلحة حديثة والسلاح الأبيض، وأخذوا يلقون القنابل على البيوت ويذبحون الناس بالسكاكين والبلطات، وقد أبيدت عدة عائلات مثل: دار أبو الشريف، ودار أبو رزق، وقد أبيدوا بالكامل.

أما العبدة أم أسعد فقد قتلوها مع أطفالها الثلاثة، وكان أحدهم عمره (٧) أيام، وتم ذبحهم بالسلاح الأبيض أما حلوة سنوسة فقد بقروا بطنها وهي حامل.

أما ما جرى لعائلة أبو رزق فقد ذبح اليهود له ستة أطفال وكان نائماً وعندما أيقظوه قالوا له قوم يا أبو رزق شوف أولادك شو صار فيهم. وعندما رأى ذلك فقد عقله وانجن».

أما سلمان عبد الله اللبدي فكان بحوزته بارودة اشتراها من الشام بـ(٣٠٠) ليرة وكان يسكن معه ابنه «محمد» وعندما بدأ الهجوم، أغلق الأبواب والشبابيك ووضع خلفها الطاولات والكراسي، وأثاث البيت، حتى لا يستطيع المهاجمون فتح الأبواب أو الشبابيك لكن اليهود هجموا على البيت بالقنابل، ودخلوا الدار ودارت معركة حامية داخل البيت ودافع سلمان عبد الله عن نفسه حتى انسحب اليهود.

أما ما حدث للحاج عوض جرادات وأفراد عائلته، فقد تعرض لهجوم بالقنابل على بيته وألقيت القنابل داخل البيت، وقد جرح جميع أفراد العائلة وصعدت زوجة إبنه على سطح المنزل تستغيث وتطلب العون من مخيم الجيش الأردني الذي لم يكن بعيداً وكانت تصيح وتصرخ: «وين رجال عبد الله» لكن لا مجيب ولم يحرك الجيش الأردني ساكناً.

التهجير: في ٢٤ نيسان سنة ١٩٤٨ حاصرت وحدات من الهاغاناة القرية وطلبت من السكان تسليم أسلحتهم وقد تم فعلاً تسليم (٢٢) بندقية، وطلب السكان هدنة لجمع ما تبقى من الأسلحة لكن الهاغاناة رفضت ذلك الطلب وهددت بالهجوم إن لم تتسلم بقية الأسلحة.

وعند الساعة الخامسة صباحاً فتحت الهاغاناة النار من المدافع الثقيلة والرشاشات، مع أنه لم يصدر من القرية أي رد فعل تقريباً على إطلاق النار. وقد هجّر السكان تحت إشراف القوات البريطانية، بعضهم إلى عكا والبعض الآخر إلى جنين، وغيرها من المناطق العربية.

سقوط بلد الشيخ
بعد حيفا والرحيل الأخير

يعتبر موقع قرية بلد الشيخ استراتيجياً بالمعنى العسكري بالنسبة للحركة الصهيونية، فهي عبارة عن مركز عقدة الطرق من حيفا إلى جنين وإلى الناصرة أيضاً، وبسقوطها يمكن ربط كافة المستوطنات التي استطاع الصهيونيون قبل عام ١٩٤٨ أنشأها ليسهل توسعها وهيمنتها على التجمعات السكنية الفلسطينية، وقد نصت الخطط التي أعدتها عصابة الهاغاناة وغيرها، والتي أشرنا لها سابقاً، على احتلال غالبية المناطق الفلسطينية في الساحل والجليل بما فيها قرية بلد الشيخ، وإن أية إشاعات كانت تبثها المصادر الأردنية، كانت لذر الرماد في العيون من أجل استرخاء العرب وعدم تجهيزهم بالأسلحة القادرة على درء خطر العصابات الصهيونية.

فبعد سقوط مدينة حيفا يوم الأربعاء ١٩٤٨/٤/٢١، أرسلت العصابات الصهيونية إنذاراً إلى أهالي قرية بلد الشيخ، بواسطة القائد البريطاني الذي كان متولياً حراسة البترول هناك، بوجوب تسليم القرية والسلاح وكذلك المسلحين الغرباء، وبعد تشاور أهل الرأي رفض طلب الصهاينة، وعندها طلب أهل القرية من القائد الإنكليزي أن يعطيهم ثلاث سيارات لترحيل الأطفال والنساء، وبعد ترحيل قسم من الأهالي شعر اليهود أن غرض أهل القرية من ترحيل النساء والأطفال هو تعزيز قدرة الرجال للصمود أمام غارات العصابات الصهيونية المحتمل حدوثها، وبدأ اليهود يطوقون القرية ويطلقون النار، وبقي أهل القرية يدافعون عنها إلى أن نفذت ذخائرهم، فانسحب الشبان المسلحون تحت الضغط عن طريق الجبال إلى قرية (عارة وعرعرة) وفي أثناء الانسحاب استشهد الشاب نعيم حسين عثمان من أهالي القرية. [٢٥]

ويذكر أن أهالي قرية بلد الشيخ قطعوا الطريق الواصل بين مستعمرة نيشر شرق القرية ومدينة حيفا إلى الغرب، حتى لا يتم التواصل بين العصابات الصهيونية، كما تم خلال بدايات عام ١٩٤٨ إحراق باص ومصفحة للصهاينة على الطريق العام في قرية بلد الشيخ من قبل شباب القرية، ومن الأحداث الهامة ذات الدلالة على رباطة جأش أهل القرية، أنه هناك سيارة تابعة لشركة العلمين كانت تحمل سيدة في عام ١٩٤٨ بطريقها إلى القدس، وعند وصولها إلى

مستعمرة نيشر في شرق قرية بلد الشيخ ـ حيث أراضيها ملك من أملاك أهالي القرية ـ اعترضت القافلة عصابة صهيونية وأخذت السيارة والمرأة التي فيها.

وقد فرّ السائق المدعو «عبد المجيد العدان» وأبلغ أهالي قرية بلد الشيخ بالحادثة، وتحمس شبان القرية، ونزلوا إلى الشارع العام، حيث تمر سيارات اليهود، وربطوا الشارع المذكور من أطرافه وعندما شعر اليهود بأن الطريق مرصودة، امتنعت سياراتهم من المرور، وقد أبلغ أهالي القرية اليهود بواسطة القائد العربي أنهم لن يفكوا الحصار إلا بعد تسليم المرأة والسيارة في مدة ساعة فقط. وعندما مضت الساعة أرسل اليهود مصفحة فاعترضها المسلحون من القرية ورموها بذخائرهم المتوفرة وخاصة برشاش (FM) والهاشكز، فأعطبوها وقتلوا من ركابها ثلاثة، وعندما أدرك اليهود أن الأمر جدي وأن العرب يضحون من أجل فك أسر المرأة العربية، أطلق اليهود في المستعمرة المذكورة سراحها غير مصابة بسوء، وعلى الرغم من تسليم المرأة، فإن الطريق بقيت مقفلة ويحرم على اليهود السير عليها، إلى أن تم تهجير أهل قرية بلد الشيخ في نيسان ١٩٤٨[٢٦].

ومن جهته يؤكد الدكتور وليد الخالدي، أنه بعد مجزرة قرية بلد الشيخ في بداية عام ١٩٤٨، تم إخلاء القرية في السابع من كانون الثاني من العام نفسه، ولم تحتلها القوات الصهيونية إلا في نهاية نيسان /إبريل ١٩٤٨. وكانت خطة «دالت» المشار إليها تقضي بأن يحتل لواء كرميلي قرية بلد الشيخ، في عملية احتلال حيفا ذاتها، بعد سقوط حيفا يوم الأربعاء في ١٩٤٨/٤/٢١، تم إجلاء عدد من نساء وأطفال قرية بلد الشيخ إلى أماكن آمنة، تحسباً لهجوم قديشن. وعند فجر الأحد ١٩٤٨/٤/٢٥ حاصرت وحدات الهاغاناة القرية وطلبت من سكان القرية تسليم أسلحتهم، (وذلك استناداً إلى صحيفة نيويورك تايمز وإلى المؤرخ الإسرائيلي نبي موريس معاً) فقد جاء في الروايتين أن سكان القرية سلموا (٢٢ بندقية قديمة)، وطلبوا هدنة، غير أن الهاغاناة رفضت ذلك الطلب وهددت بالهجوم، إذا لم تصل باقي الأسلحة، وعند الساعة الخامسة صباحاً من ١٩٤٨/٤/٢٥ فتحت الهاغاناة النار من مدافع الهاون والمدافع الرشاشة على القرية من أطرافها خاصة الشرقية، وجاء في تقرير الوحدة البريطانية التي وصلت إلى القرية في الساعة السادسة صباحاً، أنه لم يصدر عن القرية أي رد تقريباً على إطلاق النار الصهيوني، ثم رتب البريطانيون هدنة تقضي بإخلاء القرية من سكانها، وفي جملتهم النساء والأطفال، وذلك تحت حماية بريطانية ويبدو، بحسب المؤرخ اليهودي نبي موريس، أن بعض سكان قرية بلد الشيخ اتجه صوب عكا، ثم فرّ منها بعد أيام قليل باتجاه لبنان، عندما انتاب الذعر المدينة تحسباً لهجوم جديد تقوم به الهاغاناة. [٢٧]

ومن جهتهم، قال أهل القرية من كبار السن عند مقابلتهم يوم الخميس ٢٠٠٠/٦/١، بأن عدد

السكان تجاوز (١٢٠٠) نسمة في عام ١٩٤٨، وارتفع العدد إلى أكثر من (٤٠٠٠) نتيجة استئجار العمال الفلسطينيين لبعض المنازل في القرية، وهؤلاء العمال كانوا يعملون في ميناء حيفا، ومصفاة النفط. وبالنسبة لسقوط القرية بأيدي الهاغاناة، فإنه بعد ثلاثة أيام من سقوط حيفا، أي في يوم ٢٤ أو ٢٥ نيسان ١٩٤٨، جاء تهديد شديد اللهجة لأهل قرية بلد الشيخ، هذه القرية البعيدة نسبياً عن قرى قضاء حيفا وعن مدينة حيفا ذاتها، حيث قطع أهل القرية الأمل بعد سقوط المركز، وتمت محاصرة القرية من عدة جهات فجر الخميس ١٩٤٨/٤/٢٥، وبعد رفض الطلب الصهيوني بتسليم كافة أسلحة القرية، بدأ الصهاينة يطلقون القذائف ونيران رشاشتهم من الأطراف البعيدة للقرية وخاصة من الخبطة، وفي الصباح جاءت نحو (٤٠) سيارة كميون إنكليزية، ووقفت على الطريق العام شمال القرية، وذلك بعد أن انسحب بعض الشباب عن طريق الجبال إلى مدينة جنين شرقاً حيث استشهد نعيم حسين العثمان في كمين، وانسحب القسم الأكبر من البلد عن طريق السعادة إلى شفا عمرو والناصرة، ومن ثم إلى لبنان، وبعدها إلى دمشق، وغالبية أهالي بلد الشيخ استقروا في سورية، والبعض القليل في الأردن ولبنان وبقيت عائلتين في الناصرة، ولم يحمل أهالي القرية عند تهجيرهم بقوة السلاح سوى بعض أمتعتهم وبعض الوثائق التي تدل على الملكية وشهادات الزواج والضرائب وغيرها (انظر صور بعضها في الملحق).

وتجدر الإشارة أنه عند صعود أهالي قرية بلد الشيخ إلى الكميونات الإنكليزية، رفض بعض كبار السن والشباب والأطفال الصعود والخروج من القرية، ومن بين هؤلاء صالح أحمد علي السهلي، وسليم الحمدان السهلي، وغيرهم، حيث استمروا في إطعام دوابهم خلال تلك الفترة، لكن ما لبثوا أن صعدوا فيما بعد.

عودٌ إلى بدء [٢٨]

كان لزاماً علينا إبراز الأدلة الواضحة التي تؤكد أهداف الحركة الصهيونية والعصابات اليهودية في فلسطين، خاصة الداعية إلى إفراغ فلسطين ومن ضمنها قرية بلد الشيخ من سكانها الأصليين، فهناك ثمة دليل أخر يوحي بأن أعمال قادة الهاغانا المتطرفين في حيفا (الذين كانوا ينظرون إلى العرب نظرة الأرغون إليهم)، كانت على امتداد الفترة بين ٢١ نيسان/ أبريل وحتى الأول من أيار/ مايو ١٩٤٨، مدفوعة بالهدف المعتمد والقاضي بتهجير العرب، ومن أجل ذلك فرض قانون عرفي. ويمكن إيجاد مثل هذا الدليل في يوميات يوسف فايتس الصهيوني داعية الترحيل المتحمس، الذي بقي في المدينة، ولا عجب أن بين /٢٢ - ٢٦/ نيسان/ أبريل، وبالتحديد في صبيحة (٢٢) نيسان ١٩٤٨، وبعد عدة ساعات من بدء هجوم الهاغاناة على حيفا استدعي

فايتس إلى اجتماع في تل أبيب مع رئيس الهاغاناة «يسرئيل غاليلي» (*) وكان قد أثار معه من قبل (في ٣١ آذار ١٩٤٨) «مسألة تهجير العرب ونقلهم من حدودنا» وتألفت لجنة للعمل في هذا الصدد. وردَّ غاليلي رداً إيجابياً قائلاً أنها «فكرة جيدة»، وأنه سيلاحق تنفيذها. واتفق الاثنان أيضاً على ضرورة استشارة يغال آلون، قائد البلماخ، ويغئيل يادين ضابط العمليات في الهاغاناة، وحضريادين الاجتماع في تل أبيب في ٢٢ نيسان وأحال فايتس على لواء كرملي تحت إمرة قائد منطقة حيفا موشيه كرمل، ووصل فايتس إلى منطقة حيفا بعد ظهر اليوم ذاته، مكلفاً، ربما في مهمة ترمي إلى تشجيع هجرة العرب في المدينة، وفي اليوم ذاته وبعد استيلاء الهاغاناة على المدينة، كتب فايتس في يومياته: «يبدو لي أن هذه الحالة الذهنية السائدة بين العرب [هجرة أناس محيطين حتى لا يستسلموا (ويبقوا). يجب إقامة دولتنا الخاصة بنا». وفي اليوم التالي التقى فايتس مسؤولي الصندوق القومي اليهودي في منطقة حيفا، وقيل له أن بعض البدو في خليج حيفا قد غادر لكن بعض الرجال بقي لحراسة أرضه وممتلكاته. فكتب فايتس: «طالبت بإجلاء هؤلاء أيضاً وبحراثة أرضهم، بحيث لا يبقى عليها أي أثر منهم» لكن الأمر الأهم هو أن فايتس داعية الترحيل والترانسفير، التقى في ٢٤ نيسان مساعد موشيه كرمل، فهذا الأخير كان منهمكاً في عمليات خارج المدينة، حيث بلّغ هذا الضابط فايتس أن قريتي بلد الشيخ وحواسة في جنوب شرق حيفا «سيتم إخلاؤهما اليوم»، وأن الطريق نحو الشمال ستفتح «بعد أن يغادروا [العرب] عكا والقرى [الواقعة على الطريق.» وكتب فايتس: «سرني أن أسمع من فمه أن سياسة [الترحيل؟] هذه كانت تنفذها قيادة [الهاغاناة] [في حيفا]، أي لإرهاب العرب وطردهم ما دام الرحيل الذي سببه الرعب يتملكهم». ومن الواضح أن سياسة الهاغاناة العملية على مستوى مقر قيادة لواء كرملي، كانت تشجيع الهجرة العربية من حيفا.

ولقد بدا أيضاً أن منهج الهاغاناة في الهجوم على قريتي بلد الشيخ وحواسة المتجاورتين، ومن دون صدور أي ردة فعل من القريتين عملياً، كان يرمي إلى ترهيب السكان لحملهم على الجلاء، وكان المراقبون من الكتيبة البريطانية المحلية يعتقدون أن الهاغاناة ستواصل قصف محيط حيفا بالهاون والمدافع، ومع حلول شهر أيار ١٩٤٨، لم يبق سوى (٤٠٠٠) عربي من السكان العرب في مدينة حيفا، فالقانون العرفي الذي فرضه كرمل للترهيب، والذي استمر حتى ٣ أيار ١٩٤٨ كان يتماشى مع الأوامر التي أصدرت قبل المعارك لإجلاء سكان معظم المناطق العربية، فقبل الهجوم أصدرت الهاغاناة أوامرها بإخلاء المناطق العربية، أي وادي رشميا،

(*) أثناء الهجوم على حيفا وقرية بلد الشيخ خلال الفترة (٢١ـ ٢٤) نيسان ١٩٤٨، كان اسم رئيس الهاغاناة يسرائيل غاليلي، وضابط عمليات الهاغاناة، يفيئيل يادين، وقائد البلماخ يغال آلون، وقائد منطقة حيفا اليهودي موشيه كرمل الذي أحيل له أيضاً قيادة لواء كرملي الذي هاجم بلد الشيخ.

والحليسة، ووسط حيفا، حيث كان يعيش معظم السكان العرب، وحصر الوجود العربـي فـي حيفـا بوادي النسناس، ووادي الصليب.

وجاء في مذكرات بن غوريون «استناداً إلى معلومات تلقاهـا مـن «يعكـوف لوبيـاني»، قـائد الهاغاناة المحلي، و«توفيا أرازي» من جهاز الاسـتخبارات، قبـل احتـلال حيفـا، قـررت الهاغانـاة تخصيص نواح محددة في جوار وادي النسناس ووادي الصليـب يمكـن للعـرب أن يعـودوا إليهـا، لكن يحظر على العرب دخول المدينـة القديمـة فـي وسـط حيفـا، ووادي رشـميا والحليسـة، حيـث تضمنت أوامر خطة دالت «احتلال جميع الأحياء العربية المعزولة والسيطرة عليهـا... ولا سـيما الأحياء التي تسيطر على الطرق المؤدية إلى المدينة والخارجـة منهـا... وفـي هـذا السـياق يمكـن تفسير احتلال قرية بلد الشيخ بعد احتلال مدينة حيفا مباشرة، حيث تربط قرية بلد الشيخ حيفا عبر طريق إلى جنين من الشرق والناصرة في الشمال أيضاً.

أهالي بلد الشيخ في الشتات

دأب أهل القرية منذ عام ١٩٤٨ على الارتقاء في مستوى أبنائهم التعليمي، فكان جهد الأباء كبيراً من أجل ذلك، حيث عملوا في القطاعات المجهدة، صقل الأحجار، وعمال أجرة في الحفريات والمقالع، وبائعون متجولون، وبدورهم كان الأطفال يبيعون الحلوى والمثلجات في العطل الصيفية لتحسين أوضاعهم المعيشية وبالتالي تحسين تحصيلهم العلمي لدخول سوق العمل في قطاعات التعليم والصحة وغيرها، وقد ساعد ذلك ارتفاع نسب التعليم بين أهالي قرية بلد الشيخ سواء بين الذكور أو الإناث. ففي العائلة حالياً وبعد مرور (٥٣) عاماً على النكبة رغم مرارتها ووقعها الكبير في النفس. العديد من المهندسين، والأطباء، والمحامين، والمدرسين والصحفيين، والخبرات المهنية العالية في مجالات عديدة، ناهيك عن وجود تجار وأصحاب عمل في مجالات مختلفة لهم حضورهم في المجتمع والسوق. فطموح الأسرة من أهالي قرية بلد الشيخ في الشتات يكمن بشكل أساسي في رفع مستويات التعليم، فالأب مستعد للتضحية والعمل ليل نهار من أجل ذلك، وقد تواصل الحراك الاجتماعي لأهالي قرية بلد الشيخ في منافيهم، ولم يغب عن أحاديثهم في الأفراح والأتراح، قريتهم، ودواوين الأباء والأجداد، والعادات، والتقاليد في القرية، وصولاً إلى صباح الرحيل الذي كان من أصعب الصباحات التي مرّت على أهالي قرية بلد الشيخ، ووصف أهالي القرية من كبار السن الذين امتدت سهرتهم في منزل محمود صالح السهلي يوم الخميس ٢٠٠٠/٦/١ حتى منتصف الليل، بأن هذه السهرة تعتبر من أهم السهرات بعد نكبة عام ١٩٤٨، إذ عادت بهم ذاكرتهم إلى ملتقى الطفولة وشجرة الدار، والعرس، والتصدي للعصابات الصهيونية، فضلاً عن إحياء ذاكرتهم والعودة لإبائهم ونشاطهم، وتمنوا في نهاية سهرتهم العودة إلى قريتهم بلد الشيخ، حيث لا يقبلون كنوز الدنيا عوضاً عنها، وقالوا: نتمنى أن ندفن في القرية بعد مماتنا وهذا أضعف الإيمان.

وأكد بعض كبار السن من القرية من الذين زاروا فلسطين في عام ١٩٩٤، بأنه عند الوصول إلى القرية التي دمرّ الصهيونيون قسماً كبيراً منها وبنوا في بساتينها أبنية ضخمة، عادت به الذاكرة إلى تفاصيل القرية، حاراتها، حواكيرها، «فحايرها»، الحنانة فيها، دواوينها، وقد

ساعده في ذلك بقاء بعض المعالم الأساسية التي من الصعب شطبها وتهويدها، ألا وهو سفح الجبل الذي يحتضن القرية وكأنه أب يحنو على أبنائه، وبعض الشجيرات والنباتات التي لا تنمو إلا في القرية بسبب مناخها الخاص، وما زالت المقابر التي احتضنت رفات الأجداد والأباء، وكذلك رفات الشهيد عز الدين القسام وغيره من الشهداء الذين رووا بدمائهم الطاهرة تراب فلسطين دفاعاً عنها وعن أهلها الذين ما زالوا يحملون في حلهم وترحالهم حب الوطن رغم سنوات الشتات المرة، وعند تجوله في القرية التي ما زالت بعض بقالياتها مقفلة بقفل خاص منذ عام النكبة في عام ١٩٤٨، أحس بأن القرية في انتظار الأهل لاقتلاع أشواك ترعرعت في أراضي القرية بعد رحيل أهلها عنها. وعند جوابه عن سؤال هام بعد عودته إلى منزله في الشتات، عن وضع قريتنا بلد الشيخ وفلسطين، قال: إن الأرض موجودة بخير، وأهلها مهما بعدوا عنها سيرجعوا إنشاء الله إليها، فقد استطعنا نقل حب القرية إلى أولادنا، وهذا رصيد كبير للمستقبل، وما ضاع حق ورائه مطالب، والشعب الفلسطيني الذي قدم الغالي والنفيس في تاريخه النضالي منذ مائة عام لا بد أن يعود إلى وطنه، فكل الذين احتلوا فلسطين رحلوا وسيرحل مثلهم الصهيونيون إنشاء الله.

عز الدين القسام
وقرية بلد الشيخ وفلسطين [٢٩]

تربط المجاهد الشهيد عز الدين القسام علاقة نضالية، وكذلك علاقة نسب مع أهالي قرية بلد الشيخ، عن طريق ابنته عائشة التي تزوجها الشيخ مصطفى عيسى السهلي، وتوفيت قبل خمس سنوات في مخيم اليرموك بعد أن أنجبت عدة ذكور وإناث أكبرهم من الذكور صلاح.

ولد المجاهد الشهيد عز الدين القسام في قرية جبلة جنوب مدينة اللاذقية، ويتحرر من أسرة متدينة، من أب صاحب كتّاب، يعلم فيه الأطفال أصول القراءة وحفظ القرآن الكريم. درس المرحلة الابتدائية في بلدته، ونشأ على الدين والصلاح، والفضائل وأمضى بعد أن وصل سن الرابعة عشرة عدة سنوات في القاهرة، حيث نهل فيها العلم على يد أبرز أئمة الأزهر، ومن بينهم الشيخ محمد عبده، وقد نال هناك الشهادة الأهلية.

حلّ عز الدين مكان والده في الكتاب، وأخذ يعلم الأطفال العلوم الحديثة وأصول القراءة والكتابة إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم، وأصبح إماماً لمسجد المنصوري في جبلة. رفع القسام راية مقاومة فرنسا في الساحل الشمالي، لسورية، وكان في طليعة المجاهدين الذين حملوا السلاح في ثورة (١٩١٩ ـ ١٩٢٠) مع ثوار أخرين.

التجأ إلى فلسطين مع ستة من جماعته بعد إخفاق الثورة المذكورة، ووصل إلى حيفا أواخر صيف ١٩٢١، ولحقت به أسرته بعد فترة وجيزة، وبدأت حياة القسام النضالية منذ ١٩٢٢، فعمل مدرساً في المدرسة الإسلامية في حيفا، وكان خطيباً وإماماً لجامع الاستقلال فيها، وعين منذ سنة ١٩٢٩ مأذوناً شرعياً من قبل المحكمة الشرعية فصار يخرج إلى القرى، وعرفه الناس وعرفهم، وازدادت شعبيته، وذاعت شهرته.

تراكمت في القسام مجموعة من المؤشرات كونت شخصيته المتميزة، وجعلته صاحب مدرسة في النضال تركت أثرها في مسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية أثناء إقامته في حيفا التي دامت قرابة أربعة عشرة سنة (١٩٢١ ـ ١٩٣٥)، أي حتى استشهاده. وكان القسام أحس بخطر الصهيونية، وبأنها جادة في الوصول إلى أهدافها، ولذلك دعا الناس إلى الوقوف في وجهها من

خلال توحيد جهدهم، وكلمتهم، وركز في الوقت ذاته على مخاطر الاستعمار البريطاني، واعتبره العدو الرئيس الذي يجب محاربته، في وقت كانت فيه الحركة الوطنية الفلسطينية - آنذاك - تتجنب الصدام معها، واعتبر القسام أن الثورة المسلحة هي وحدها القادرة على إنهاء الانتداب البريطاني، والحيلولة دون إقامة دولة صهيونية على الأرض.

ربط المجاهد الشهيد عز الدين القسام، الجانب النضالي بالجانب الاجتماعي، فكان يهتم بتحسين أحوال الفقراء، ومساعدتهم، وسعى لمكافحة الأمية بينهم، إيماناً منه بأن ذلك يعمق الوعي بين الناس، ويزيدهم إيماناً بالثورة، ويشحذ عزمهم للكفاح المسلح، ولا سيما جماهير الحي القديم في حيفا، حيث كان القسام يقيم، وحيث يقيم العمال الفقراء، وفقراء الفلاحين الذين يعملون في مدينة حيفا. لم يكن القسام في عجلة من أمره في إعلان الثورة في فلسطين، إذ اقتنع بالتأني والحاجة لاستكمال التهيئة والإعداد، ورخص أن ينطلق في التنظيم للثورة العلنية بعد هبة البراق سنة ١٩٢٩، والتي أعدم البريطانيون على إثرها ثلاثة أعلام فلسطينيين في سجن عكا وهم: محمد جمجوم، عطا الزير، وفؤاد حجازي، وسمي يوم الإعدام بالثلاثاء الحمراء.

ازداد الوضع سوءاً في فلسطين جراء سياسة الانتداب البريطاني، وشددت السلطات البريطانية الرقابة على تحركات القسام وجماعته في مدينة حيفا الساحلية، فخشي من انكشاف أمر جماعته، فعقد أخر اجتماع في المدينة ليلة ١٩٣٥/١١/١٢، وقرر البدء في الثورة في الحال، وانتقل مع عشرات من جماعته إلى قضاء جنين، وكان على معرفة بالقرويين من سكانها خلال عمله مأذوناً شرعياً، وعلى معرفة أيضاً بأهالي قرية بلد الشيخ التي ساهم العديد من أهلها في الثورة بشكل مباشر وتزويدهم بالأغذية أيضاً.

كشفت السلطات البريطانية أمر القسام وعرفت مكانة فأرسلت في ١٩٣٥/١١/١٥ قوات كبيرة اشتبكت مع جماعته قرب قرية البارد، ثم تطورت الأمور بسرعة بعد أن فقد القسام وجماعته عنصر المفاجأة وانكشف أمرهم، وكان الشيخ مع أحد عشر من رجاله في قرية الشيخ زايد، داخل أحراج يعبد قضاء جنين، حين طوقتهم القوات البريطانية صباح ١٩٣٥/١١/١٩ وقطعت الاتصال بينهم وبين القرى المجاورة، وقد ثبت القسام وجماعته في معركة غير متكافئة أصلاً، امتدت لعدة ساعات، واستشهد مع نفر من الثوار في حين جرح واسر أخرون منهم، وكان ذلك بمثابة بداية حقيقية للثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦ - ١٩٣٩) التي كان معظم قادتها من رجالات المجاهد الشهيد عز الدين القسام.

وعلى الرغم من عدم تحقيق حركة القسام لأهدافها نتيجة ظروف عديدة، فإن أثرها حرك الشعب الفلسطيني نحو معرفة العدو الحقيقي من جهة، وفرض على الزعامات الفلسطينية انتهاج

سياسة متصلبة مع بريطانيا من جهة أخرى.

وبعد استشهاده دفن المجاهد عز الدين القسام في قرية بلد الشيخ إلى الجنوب الشرقي من مدينة حيفا، والتي تربطه علاقة نسب معها كما أشرنا، وهناك محاولات صهيونية حثيثة لإجتثاث ضريحه من القرية، وذلك المجاهد الكبير من ذاكرة أهالي قرية بلد الشيخ ومن الذاكرة الفلسطينية بشكل عام، إلا أن تداخل الوطني والقومي في تاريخ عز الدين القسام ومكانته في تاريخ القضية الفلسطينية، جعله عصياً على الذين يحاولون شطب الذاكرة الفلسطينية، فبات عز الدين من أعلام النضال القومي العربي.

وعند استجواب أحد أهالي القرية ممن زاروا فلسطين في عام ١٩٩٤، من قبل السلطات الصهيونية، حول ذاكرته عن عز الدين القسام وجنازته، قال: فلسطين عن بكرة أبيها شاركت بالجنازة، الكتف على الكتف من المقاصد الخيرية في حيفا حتى قرية بلد الشيخ، وأثناء مراسيم الدفن ألقت مدرسة في بلد الشيخ، وهي بنت سليم فارس، خطبة حماسية في المقبرة لوداعه تحدثت فيها عن فضائل المجاهد الشهيد.

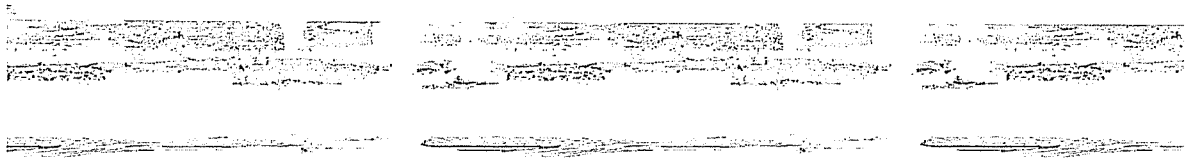

أراضي فلسطين
في دائرة الضوء (٣٠)

في نهاية دراستنا حول إحدى جنات الله في الأرض، قرية بلد الشيخ، أضع بين أيدي أهالي قريتي، وكذلك بين أيادي شعبنا، والقارئين لهذا الكتاب، معطيات أساسية حول أرضنا الغناء فلسطين التي تتربع على مساحة ٢٧٠٠٩ كيلو مترات مربعة، والتي تعتبر بحد ذاتها حجر الزاوية في الصراع مع الحركة الصهيونية وإسرائيل، وتزداد أهمية الحديث عن أراضي فلسطين، في هذه المرحلة التي تشهد فيها محاولات صهيونية حثيثة لإخضاع الفلسطينيين وتهويد أرضهم، وشطب ذاكرتهم حولها.

فمنذ المؤتمر الصهيوني الأول في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧، توضح أن سلب أرض فلسطين وطرد أهلها العرب كان الهدف الأساسي للحركة الصهيونية لجهة إنشاء دولة يهودية بأقل عدد ممكن من العرب، وتبعا لتلك التوجهات استطاعت الحركة الصهيونية بالتحالف مع القوى الاستعمارية الكبرى وخاصة بريطانيا المنتدبة على فلسطين «١٩٢٠-١٩٤٨ »إنشاء الدولة المنشودة في ١٥ أيار ١٩٤٨ على نحو «٢٠» ألف كيلو مترات مربعة من أراضي فلسطين، تمثل نحو «٧٤ ٪» من مساحتها البالغة «٢٧٠٠٩» كيلو متر مربع، وتمكنت العصابات الصهيونية الهاغاناة والشتيرن والأرغون طرد نحو «٨٥٠» ألف فلسطيني ليصبحوا لاجئين في الأردن وسورية ولبنان، وفي الضفة وقطاع غزة، ومثل اللاجئون الفلسطينيون آنذاك «٥٧٪» من إجمالي مجموع الشعب الفلسطيني في عام ١٩٤٨ الذي بلغ نحو «١,٥» مليون فلسطيني، وفي مقابل ذلك بقي داخل الخط الأخضر نحو «١٥١» ألف فلسطيني يتركز معظمهم في منطقة الجليل والنقب في جنوب فلسطين، أصبح مجموعهم في عام ٢٠٠١ نحو مليون ومائة ألف فلسطيني، ومنذ عام ١٩٤٨ أصبحت تلك الأقلية في أرضها موضع اهتمام أصحاب القرار في الدولة العبرية، حيث كان تزايدهم هاجس يؤرق المخططين الإسرائيليين، وبناء على ذلك سعت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة خلال الفترة «١٩٤٨-٢٠٠١» إلى جعل حياة المجتمع العربي داخل أرضه لا تطاق، من خلال فرض وقائع على الأرض تمنع الفلسطيني من البناء والتوسع الجغرافي، وتم مصادرة الأراضي العربية لإنشاء مزيد من المستوطنات اليهودية عليها، وجذبت

مزيداً من يهود العالم وارتفع مجموعهم من «٦٥٠» ألف يهودي في عام ١٩٤٨ إلى نحو خمسة ملايين يهودي في عام ٢٠٠١، ومع ازدياد مجموع المستوطنين اليهود في فلسطين تسارعت وتائر مصادرة الأراضي وتهويدها، وفي عام ١٩٧٦ أعلنت السلطات الإسرائيلية مصادرتها نحو «٢١» ألف دونم من أراضي العرب في الجليل، وتواصلت احتجاجات العرب في سخنين، عرابة، وكفر كنا، حتى وصلت ذروتها في انتفاضة يوم الأرض في الثلاثين من آذار ١٩٧٦، ونتيجة ذلك سقط ستة شهداء من العرب في مواجهة مع الجيش الإسرائيلي، والشهداء هم: خير ياسين من عرابة، خديجة شواهنة من سخنين، محسن طه من كفر كنا، رجا أبو ريا من سخنين، خضر خلايلة من سخنين، رأفت زهيري من مخيم نور شمس في الضفة الفلسطينية وقد استشهد في الطيبة، إضافة لذلك جرح ٣٠٠ فلسطيني في تلك المواجهات، فضلاً عن عدة جنود إسرائيليين، ومنذ العام ١٩٧٦ أصبح يوم الأرض يوماً وطنياً في حياة الشعب الفلسطيني داخل فلسطين وخارجها، وفي هذه المناسبة تقوم تحركات شعبية فلسطينية عديدة تؤكد وحدة الشعب الفلسطيني وحقه في أرضه رغم شراسة الهجمة الاستيطانية الإسرائيلية التي تقضم أرض أجداده وتحولها جزء منها إلى جزر استيطانية كثيفة.

وبعد خمسة وعشرين عاماً من يوم الأرض ما زالت إجراءات المصادرة والتهويد في ذروتها، وقد انتزع القسم الأكبر من أراضي العرب داخل الخط الأخضر. ففي حين باتوا يشكلون (١٨ ـ ٢٠٪) من السكان داخل الدولة العبرية، إلا أنهم لا يملكون سوى (٣٪) من الأراضي المصنفة داخل إسرائيل، وهذا بالطبع انعكاس «لديموقراطية الدولة» التي تعتبر اليهود أداتها البشرية في المقام الأول في حين تعتبر العرب داخل أرضهم على هامش الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أيضاً، ولتعزيز سلطتها على الأراضي الفلسطينية استصدرت السلطات الإسرائيلية في بداية الخمسينيات عدة قوانين تمكن أي يهودي في العالم المجيء إلى إسرائيل من خلال ما يسمى قانون العودة، في حين زحفت السلطات الإسرائيلية وسيطرت على أراضي اللاجئين الفلسطينيين من خلال قانون الغائب، وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى أن الحركة الصهيونية استطاعت تمليك اليهود نحو (١,٦٨٢,٠٠٠) دونم من مساحة فلسطين حتى أيار ١٩٤٨، أي حوالي (٦,٢٪) من مساحة فلسطين البالغة (٢٧,٠٠٠,٠٠٠) دونم ونحو ٨,٣٪ من المساحة التي أنشئت عليها الدولة العبرية، في حين بقي للعرب داخل إسرائيل في عام ١٩٤٨ نحو (١,٤٦٥,٠٠٠) دونم تشكل (٥,٤٪) من مساحة فلسطين، ونحو (٧,٢٪) من المساحة التي أنشئت عليها إسرائيل والبالغة نحو (٢٠,٣٢٥,٠٠٠) دونم، أما أراضي الفلسطينيين الذين طردوا من ديارهم في عام ١٩٤٨ فقد بلغت مساحتها (١٧,١٧٨,٠٠٠) دونم أي حوالي (٦٣,٦٪) من مساحة فلسطين، ونحو (٨٤,٥٪) من المساحة التي أنشئت عليها إسرائيل، وهذه النسبة هي ملك

اللاجئين الفلسطينيين الذين طردوا من ديارهم عام ١٩٤٨ ووصل مجموعهم الآن إلى نحو أربعة ملايين لاجئ فلسطيني يمثلون نحو (٥٠٪) من مجموع الشعب الفلسطيني المقدر بنحو (٨) ملايين فلسطيني في عام ٢٠٠١، ولم تتوقف إسرائيل عند الحدود التي أوجدتها في عام ١٩٤٨ فتوسعت في عمق الأراضي العربية خلال عام ١٩٦٧ و١٩٧٨، واستطاعت السلطات الإسرائيلية بعد احتلال مديد للضفة والقطاع من مصادرة نحو (٦٠٪) من مساحة الضفة الفلسطينية بما فيها القدس، والمقدرة بنحو (٥٨٠٠) كيلو متر مربع، كما صادرت نحو (٤٠٪) من مساحة قطاع غزة البالغة (٣٦٥) كيلو متراً مربعاً، وزرعت في الأراضي الفلسطينية نحو (١٩٠) مستوطنة، منها (١٧٠) مستوطنة في الضفة فيها (٢٠٠) ألف مستوطن، فضلاً عن (١٨٠) ألف مستوطن في عدة أحياء استيطانية حول وداخل مدينة القدس وهناك مخططات استيطانية إسرائيلية لزحف استيطاني منظم وربط المستوطنات بطرق التفافية لعزل المدن والقرى الفلسطينية في الضفة والقطاع والحؤول دون تواصلها الجغرافي والديموغرافي، وقد لوحظ أن وتائر الاستيطان قد تسارعت منذ إعلان اتفاقات أوسلو في ١٣ أيلول ١٩٩٣، ولم يتوقف النشاط الاستيطاني ولو للحظة واحدة سواء في عهد العمل أو الليكود خلال فترة المفاوضات مع الأطراف العربية (١٩٩١ ـ ٢٠٠١)، وخصصت واقتطعت الموازنات اللازمة للنشاط الاستيطاني خاصة في مدينة القدس، ولا تخلو الصحف العبرية هآرتس وأيديعوت أحرنوت وغيرها من خبر يومي عن النشاط الاستيطاني في الضفة والقطاع أو في هضبة الجولان وستبقى أراضي فلسطين محور صراع مفتوح بين الفلسطينيين والإسرائيليين رغم الاتفاقات المعقودة أو التي ستعقد في المستقبل، فعلى الرغم من مرور نحو ثمان سنوات على أوسلو (١٩٩٣ ـ ٢٠٠١) بقي الجيش الإسرائيلي مسيطراً على ٦٠٪ من مساحة الضفة سيطرة كاملة، وعلى ٣٠٪ سيطرة أمنية، في حين لم تفض عمليات إعادة الانتشار إلا إلى سيطرة فلسطينية على ٢٠٪ من مساحة الضفة الفلسطينية.

أراضي فلسطين (١٩٤٨ ـ ٢٠٠١)

كنا أشرنا في سياق عرضنا أن مساحة فلسطين تبلغ نحو (٢٧٠٠٩) كيلو مترات مربعة، وقد قسمت إدارة الانتداب البريطاني فلسطين منذ تموز ١٩٣٩ إلى ستة ألوية وهي:

أولاً: لواء الجليل: ويقع في أقصى شمال فلسطين قرب الحدود اللبنانية ومركزه مدينة الناصرة، ويتألف من خمسة أقضية هي: عكا، بيسان، الناصرة، صفد، طبرية، وكان عدد سكان اللواء في عام ١٩٤٥ (٢٣١) ألف نسمة ومساحته (٢,٨٠١,٣٨٣) دونم، أي (١٠,٤٪) من مساحة فلسطين.

ثانياً: لواء حيفا: ومركزه حيفا ويتألف من قضاء حيفا فقط ومساحته (١,٠٣١,٧٥٥) دونم

تمثل (٣,٨٪) من مساحة فلسطين، وسكانه في عام ١٩٤٥ (٢٤٢٦٣٠) نسمة.

ثالثاً: لواء نابلس: مركزه مدينة نابلس، ويتألف من ثلاثة أقضية هي نابلس، وجنين وطولكرم، ومساحته (٣,٢٦٢,٢٩٢) دونم، تمثل (١٢,١٪) من مساحة فلسطين، وبلغ عدد سكان اللواء في عام ١٩٤٥ (٢٣٢٢٢٠) نسمة.

رابعاً: لواء القدس: يتوسط فلسطين ومركزه مدينة القدس، ويتألف اللواء من ثلاثة أقضية هي القدس، ويتبعه بيت لحم، وأريحا، والخليل ورام الله ومساحته (٤,٣٣٣,٥٣٤) دونم، أي حوالي (١٦٪) من مساحة فلسطين وعدد سكانه (٣٨٤٨٨٠) نسمة.

خامساً: لواء اللد: ومركزه مدينة يافا، ويتألف من قضائي يافا والرملة ومعظم أراضيه سهلية، ومساحته (١,٢٠٥,٥٥٨) دونم أي حوالي (٤,٥٪) من مساحة فلسطين، وسكانه في عام ١٩٤٨ (٥٠١٠٧٠) نسمة.

سادساً: لواء غزة: ويقع في جنوب فلسطين، ويشمل جزءاً من السهل الساحلي الفلسطيني ومنطقة النقب التي تعادل وحدها نصف مساحة فلسطين، ومركز اللواء مدينة غزة، ويتألف من قضائي غزة وبئر السبع، ومساحة اللواء (١٣,٦٨٨,٥٠١) دونم أي حوالي (٥٠,٧٪) من مساحة فلسطين وعدد سكانه (١٩٠٨٨٠) نسمة، أي أن الكثافة السكانية فيه كانت عام ١٩٤٥ نحو (١٤) نسمة في الكيلو متر مربع الواحد.

ومن إجمالي مساحة فلسطين البالغة (٢٧٠٠٩) كيلو مترات مربعة هناك ثمة (١٧٪) منطقة السهول وأبرزها السهل الساحلي وسهل مرج ابن عامر، في حين تشكل مساحة النقب نحو (٥٠٪) من المساحة الكلية، والمنطقة الجبلية (٢٨٪)، ووادي الغور (٥٪)، وبعد إنشاء إسرائيل في عام ١٩٤٨، قسمت الموسوعات الإحصائية الإسرائيلية المنطقة التي تم إنشاء الدولة العبرية عليها إلى ثلاث مناطق رئيسية هي منطقة الشمال وتتضمن صفد، وطبريا ومرج ابن عامر، ومنطقة حيفا وتتضمن حيفا والخضيرة، أما المنطقة الوسطى فتتضمن بتاح تكفا، والرملة وغيرها، والمنطقة الجنوبية تتضمن عسقلان وبئر السبع وإيلات. وبالنسبة للتوزع الجغرافي لليهود داخل الدولة العبرية فإن المعطيات تشير إلى أن ٨٧٪ منهم يتركزون في (١٥٪) من المساحة الكلية التي أنشئت عليها الدولة، في حين (٢٢٪) من اليهود (٨٥٪) من مجموع مساحة تلك الأراضي وقد اجتذبت المدن المتطورة القسم الأكبر منهم ويستغل (٢,٧٪) من اليهود في إسرائيل حالياً في عام ٢٠٠٠ نحو (١٧,٣٢٥,٠٠٠) دونم هي أراضي اللاجئين الفلسطينيين الذين طردوا عام ١٩٤٨، وفي الضفة والقطاع التي احتلت من قبل الجيش الإسرائيلي عام ١٩٦٧ استطاعت السلطات الإسرائيلية إنشاء (١٩٠) مستوطنة إسرائيلية على نحو (٥٠٠) كيلو متر

مربع والتي تمثل نحو (٢٢,٢٪) منها (٣٦٥) كيلو متراً مربعاً هي مساحة قطاع غزة وتمثل (٦٪) من مساحة الضفة والقطاع، ونحو (١,٤٪) من مساحة فلسطين التاريخية، وعلى الرغم من مرور سبع سنوات على اتفاقات أوسلو، ونحو عشر سنوات على مؤتمر مدريد (١٩٩١ ـ ٢٠٠٠)، فإن الاتفاقات بين السلطة الوطنية الفلسطينية وإسرائيل أفضت إلى سيطرة فلسطينية إدارية وأمنية أي ما يسمى منطقة (أ) مساحتها تقدر بنحو (٢٢٪) من مساحة الضفة، وبالطبع بعد استبعاد مساحة القدس التي تصل بعد التوسعات إلى (٢٥٪) من مساحة الضفة الفلسطينية، وقد وصلت النسبة التي أصبحت ذات سيادة مشتركة إدارية للفلسطينيين وأمنية للإسرائيليين إلى (٢٤٪). وسيبقى تحت السيادة الإسرائيلية المنطقة (جـ) نحو (٧٥,٩)٪ من مساحة الضفة بعد استبعاد مساحة القدس وسترحّل إلى مفاوضات الوضع النهائي.

وبشكل عام فإن مساحة الأراضي التي أصبحت تحت سيادة السلطة الفلسطينية (أ +ب) سواء الأمنية أو الإدارية فقط نحو (٤٢,١)٪ من مساحة الضفة دون القدس، أي حوالي (١٨٣٢) كيلو متراً مربعاً منها (٧٨٧.٤) كيلو متر مربع سيادة أمنية وإدارية فلسطينية تشكل (١٣,٦)٪ من مساحة الضفة و(١٨٠١)٪ من مساحتها دون القدس كما أشرنا، في حين سيرحّل التفاوض بشأن (١٤٥٠) كيلو متراً مربعاً هي مساحة القدس مع التوسع (٢٥)٪ من مساحة الضفة، وكذلك (٣٥١٨) كيلو متراً مربعاً (جـ) إلى مفاوضات الوضع النهائي التي تتضمن قضايا شائكة مثل قضية القدس واللاجئين والاستيطان والحدود وغيرها.

وفي المقابل فإن نحو (٦٠٪) من مساحة غزة أي نحو (٢١٩) كيلو متراً مربعاً هي تحت السيادة الفلسطينية، وسيرحّل التفاوض بشأن (٤٠٪) من مساحتها أي نحو (١٤٦) كيلواً متراً مربع إلى مفاوضات الوضع النهائي باعتبارها تحتوي مستوطنات إسرائيلية.

ويبدو أن الصراع سيبقى مفتوحاً في أراضي فلسطين سواء داخل المنطقة التي أنشئت عليها الدولة العبرية في عام ١٩٤٨، أو في الضفة والقطاع، خاصة وأن سلب أرض فلسطين واقتلاع مواطنيها العرب جزء من استراتيجية صهيونية وإسرائيلية، وتبعاً لذلك ستبرز في المستقبل انتفاضات فلسطينية للحفاظ على أراضي فلسطين التي تتعرض لهجمة استيطانية شرسة، سواء عبر مخطط ما يسمى تطوير الجليل داخل الخط الأخضر، أو مخططات تهويد القدس، وقطع أواصر القرى والمدن الفلسطينية في الضفة والقطاع من خلال زرع المستوطنات وربطها بالطرق الالتفافية للاستئثار بأكبر مساحة ممكنة من الأراضي الفلسطينية بأقل عدد سكان من العرب الفلسطينيين، ويعتبر هذا التوجه نقطة إجماع لكافة أحزاب الطيف السياسي الإسرائيلي، رغم أن الفكرة هي فكرة آلون العمالي قبل نحو ثلاثة عقود حُلت.

ويبقى القول أن الانتفاضات والهبات الفلسطينية منذ أكثر من قرن من الصراع، كان محورها رفض تهويد الأراضي الفلسطينية ومصادرتها وبناء المستوطنات اليهودية عليها، وهذا ما تأكد في هبة البراق عام ١٩٢٩م، والثورة الفلسطينية الكبرى في عام ١٩٣٦م، وصولاً إلى المحاولات الفلسطينية للدفاع عن الأراضي الفلسطينية في يوم الأرض في عام ١٩٧٦م تعبيراً عن التشبث بأغلى ما يملكون، وجاءت انتفاضة عام ١٩٨٧، وانتفاضة الأقصى، لتؤكدا رفض الشعب الفلسطيني لمبدأ احتلال أرضه وتهويدها، وإصراره على مواصلة النضال من أجل نيل حقه في الحرية والاستقلال.

الخاتمة

في نهاية دراستنا حول قريتنا بلد الشيخ، لابد من الإشارة إلى أنها، أي الدراسة، جاءت لتغطي جزءاً من هدف عام نسعى إليه خلال السنوات القادمة، يتمثل في تسجيل ما أمكن من ذاكرة أهالي القرى المدمرة، وخاصة ذاكرة أهالي نحو (٣٠٠) قرية فلسطينية موجودين في سورية ولبنان، ينتمون إلى نحو (١٦) مدينة هي بمثابة مراكز أقضية الألوية الفلسطينية المختلفة، وهدفنا النهائي من وراء ذلك، تسجيل تاريخ أهم مرحلة من مراحل تاريخ النضال الفلسطيني (١٩١٧ - ٢٠٠١)، فالتاريخ الشفوي هام في هذا السياق، خاصة وأن ذاكرة كبار السن من اللاجئين الفلسطينيين فوق الخمسين عاماً من العمر والذين يمثلون (١٣)٪ من المجموع، ما زالت خصبة ويمكن تسجيل الكثير منها، وقد قمنا بإعداد استمارة لتسجيل ذاكرة هؤلاء من خلال احتوائها على اثنين وعشرين سؤالاً تتمحور حول ذاكرة الكبار، في تسمية قريتهم، والنشاط السياسي والاقتصادي والمجتمعي، وصولاً إلى أمنياتهم بعد شتات امتد لأكثر من خمسة عقود.

وقد تكون عملية تسجيل ذاكرة أهالي قرية بلد الشيخ في هذه الدراسة، خطوة من خطوات الألف ميل التي نسعى للوصول إليها، لتسجيل ذاكرة كبار السن من اللاجئين ووقع النكبة عليهم، والانعكاسات التي واكبت ذلك.

وتبقى الإشارة، أنه لولا ذاكرة أهالي قرية بلد الشيخ، ودأبهم على حفظ هذه الذاكرة، لما خرج هذا العمل إلى النور بحلته النهائية، لكن ذلك لم يمنع من حدوث ثغرات في فصول الكتاب المختلفة، قد يسدها نفر من أهالي قريتنا في المستقبل لتكتمل صورة الوطن فحبه من الإيمان.

جدول رقم (١)

أسماء الرواة من كبار السن من النساء اللواتي ساعدن في مادة العادات والتقاليد

الاسم الثلاثي	اللقب	تاريخ الميلاد	العمر / سنة	تاريخ الرواية	مكان الرواية
رقية عبد الله السهلي	أم حسان	١٩٣٣	٦٦ عاماً	١٩٩٩/١٢/١٨	منزلها في اليرموك
خضرة عبد الحفيظ السهلي	أم زكي	١٩٢٦	٧٣ عاماً	١٩٩٩/١٢/٣٠	منزلها في اليرموك
رسمية زيدان السهلي	أم أحمد	١٩٢٥	٧٥ عاماً	٢٠٠٠/١/٤	منزلها في اليرموك
لطفية شعبان	أم سهيل	١٩٢٨	٧٢٠ عاماً	٢٠٠٠/١/١٢	منزلها في اليرموك
كاملة خليل السهلي	أم حسن	١٩٢٨	٧٢ عاماً	٢٠٠٠/٢/١٢	منزلها في اليرموك

وتجدر الإشارة إلى أن السيدة رسمية السهلي، أم أحمد، قد زودت الباحث معد الكتاب بأهم الأقوال والأشعار في المناسبات والعادات المختلفة، وأداؤها كان أهم من أي أكاديمي متخصص بشؤون المجتمع والتراث.

جدول رقم (٢)

أسماء الرواة الذين اجتمعوا في منزل محمود صالح السهلي بتاريخ الخميس ٢٠٠٠/٦/١

الاسم الثلاثي	اللقب	تاريخ الميلاد	العمر بالسنوات
محمد عبيد سليمان السهلي	أبو عبيدة	١٩١٨	٨٢ عاماً
علي نمر السهلي	أبو حسان	١٩٢٨	٧٢ عاماً
حسن نمر السهلي	أبو زكي	١٩٢٣	٧٧ عاماً
حسين نمر السهلي	أبو خالد	١٩٢٤	٧٦ عاماً
محمود صالح السهلي	أبو ياسين	١٩٢٤	٧٦ عاماً
عمر خالد السهلي	أبو عزات	١٩٣٤	٧٦ عاماً
محمد محمود عبد أسعد السهلي	أبو أحمد	١٩٢٥	٧٥ عاماً
أحمد عبد الحفيظ السهلي	أبو سهيل	١٩٢٢	٧٨ عاماً
يونس السهلي	أبو غسان	١٩٢٣	٧٧ عاماً
عبد فوزي السهلي	أبو فوزي	١٩٢٩	٧١ عاماً
عبد الرحيم الولي	أبو محمد	١٩٢٩	٧١ عاماً
محمود أحمد السهلي	أبو باسل	١٩٣٠	٧٠ عاماً
الشيخ عبد الله السهلي	أبو أكرم	١٩١٨	٨٢ عاماً

الملاحظ أن الباحث اختار عينته لتسجيل ذاكرة أهالي قرية بلد الشيخ من كبار السن الذين تجاوزت أعمارهم السبعين عاماً، ومرد ذلك أنهم هجّروا شباباً من وطنهم وفي جعبتهم الكثير عن القرية.

جدول رقم ٣

يوضح أماكن اللاجئين الأصلية في فلسطين وعددهم في عامي ١٩٤٨ و٢٠٠٠

القضاء	عدد القرى	عدد اللاجئين ١٩٤٨	عدد اللاجئين ٢٠٠٠
عكا	٣٠	٤٧٠٣٨	٣٠٦٧٥٣
الرملة	٦٤	٩٧٤٠٥	٦٣٠٢١٥
بيسان	٣١	١٩٦٠٢	١٢٧٨٣٢
بئر السبع	٨٨	٩٠٥٠٧	٥٩٠٢٣١
غزة	٤٦	٧٩٩٤٧	٥٢١٣٦٥
حيفا	٥٩	١٢١١٩٦	٧٩٠٣٦٥
الخليل	١٦	٢٢٩٩١	١٤٩٩٣٣
يافا	٢٥	١٢٣٢٢٧	٨٠٣٦١٠
القدس	٣٩	٩٧٩٥٠	٦٣٨٧٦٩
جنين	٦	٤٠٠٥	٢٦١١٨
الناصرة	٥	٨٧٤٦	٥٧٠٣٦
صفد	٧٨	٥٢٢٤٨	٣٤٠٧٢٩
طبرية	٢٦	٢٨٨٧٢	١٨٨٢٨٥
طولكرم	١٨	١١٠٣٢	٧١٩٤٤
المجموع	٥٣١	٨٠٤٧٦٦	٥,٢٤٨,١٨٥

المصدر: انظر خارطة مركز العودة الفلسطيني في لندن آب ١٩٩٨ التي أعدها الدكتور سلمان أبو ستة، وكذلك الخارطة المرفقة مع مجلة العربي، الكويت، عدد ايار ٢٠٠٠ التي أعدها الدكتور سلمان أبو ستة أيضاً. ويلاحظ أن أكثر كثافة سكانية فلسطينية موجودة في حيفا ويافا نظراً لكونهما منطقتي جذب تجاري واقتصادي وثقافي أيضا.

جدول رقم ٤

تاريخ تهجير بعض القرى الفلسطينية بعد ارتكاب المجازر الصهيونية فيها

القرية/ المدينة	التاريخ
بلد الشيخ(*)	١٩٤٨/٤/٢٥
العباسية	١٩٤٨/٥/٤
أبو شوشة	١٩٤٨/٥/١٤
عين الزيتون	١٩٤٨/٥/٢
بيت دارس	١٩٤٨/٥/١١
بئر السبع	١٩٤٨/٥/٢١
بربر	١٩٤٨/٥/١٢
الدوايمة	١٩٤٨/١٠/٢٩
دير ياسين	١٩٤٨/٤/٩
عيلبون	١٩٤٨/١٠/٢٩
حيفا	١٩٤٨/٤/٢١
الحسينية	١٩٤٨/٤/٢١
إجزم	١٩٤٨/٧/٢٤
أسدود	١٩٤٨/١٠/٢٨
جش	١٨٤٩/١٠/٢٩
الكابري	١٩٤٨/٥/٢١
الخصاص	١٩٤٨/١٢/١٨
خبيزة	١٩٤٨/٥/١٢
اللد	١٩٤٨/٧/١٠
مجد الكروم	١٩٤٨/١٠/٢٩
منصورة الخيط	١٩٤٨/١/١٨

(*) لكن هناك مصادر أخرى تؤكد أن عملية تهجير أهالي قرية بلد الشيخ تمت في ١٩٤٨/٤/٢٤

قرية ناصر الدين	١٩٤٨/٤/١٢
قزازة	١٩٤٨/٧/٩
قيسارية	١٩٤٨/٢/١٥
سعسع	١٩٤٨/١٠/٣٠
صفصاف	١٩٤٨/١٠/٢٩
صالحة	١٩٤٨/١٠/٣٠
الطيرة	١٩٤٨/٧/١٦
الوعرة السوداء	١٩٤٨/٤/١٨
وادي عارة	٢١٩٤٨/٢٧
الطنطورة	١٩٤٨/٥/٢١

المصدر: خارطة مركز العودة الفلسطيني في لندن١٩٤٨، وكذلـك الخارطـة الملحقـة لمجلـة العربي، الكويت ـ أيار ٢٠٠٠

جدول رقم ٥

قائمة بأسماء بعض شبان القرية الذين شاركوا في ثورة ١٩٣٦

الرقم	الاسم
١	محمد الحوض
٢	خليل النونو
٣	عبد الله الخطيب
٤	الشيخ رشيد
٥	الشيخ ذيب
٦	الشيخ عطية
٧	أبو درة
٨	حسن محمد علي السهلي «الشيخة»
٩	يوسف الحمدان
١٠	صالح عبد الله السهلي «خريبش»
١١	مصطفى عيسى السهلي
١٢	إضافة إلى شبان آخرين

جدول رقم ٦

أهالي قرية بلد الشيخ المسجلون في مديرية الأونروا في سوريا في بداية عام ٢٠٠٠

الرقم	اسم العائلة	الرقم	العائلة	الرقم	العائلة
١.	السهلي	١٥	سيوفي	٢٩	دحمان
٢.	الخطيب	١٦	حميدة	٣٠	حداد
٣.	الولي	١٧	كلاس	٣١	جوهرة
٤.	العثمان	١٨	ناجي	٣٢	عطية
٥.	سرحان	١٩	دياب	٣٤	أبو ريشة
٦.	خشمان	٢٠	عنيسي	٣٥	خالد
٧.	عوض	٢١	بوبس	٣٦	محي الدين
٨.	السعدي	٢٢	يونس	٣٧	سليمان
٩.	جودة	٢٣	الناطور	٣٨	سويلي
١٠.	تلاوي	٢٤	فرحان	٣٩	أوغلي
١١.	شما	٢٥	جاموس	٤٠	سمور
١٢.	سلفيتي	٢٦	غصيني		
١٣.	حوارنة	٢٧	الكردي		
١٤.	أبو رنة	٢٨			

المصدر: سجلات الأونروا في دمشق بتاريخ الخميس ٢٠٠٠/٢/١٧

وأشارت معطيات الأونروا إلى أن «١٤٤١» عائلة من قرية بلد الشيخ مقيمة في سورية، يصل عددها إلى نحو ٧٢٠٥ أشخاص بواقع خمسة أفراد بالمتوسط للعائلة الواحدة.

ملحق صور..

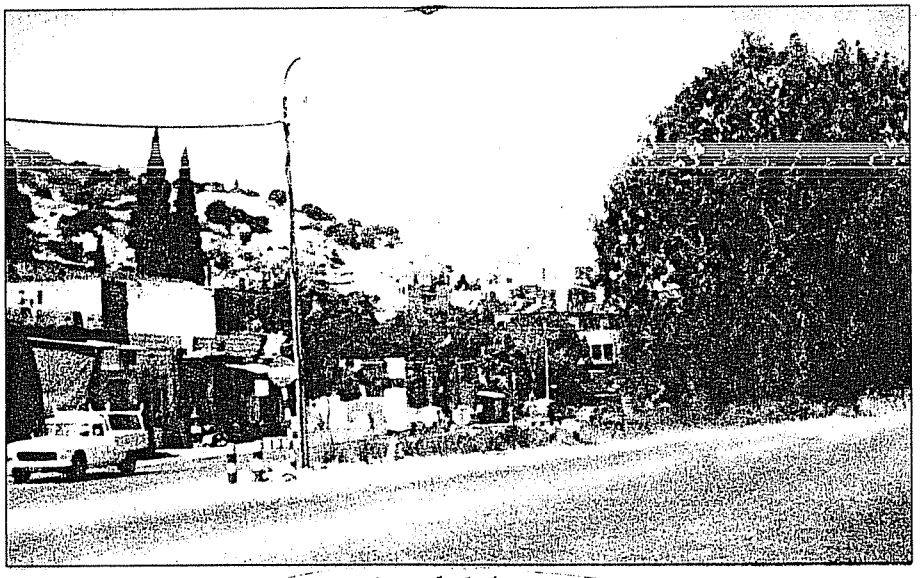

صورة تمثل قرية بلد الشيخ

صورة تمثل قرية بلد الشيخ

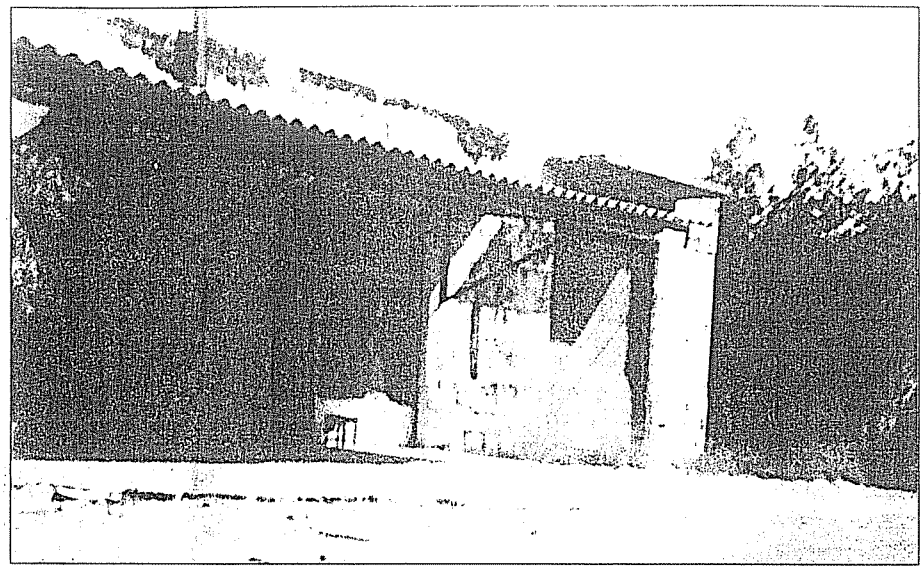

صورة تمثل أحد معالم قرية بلد الشيخ

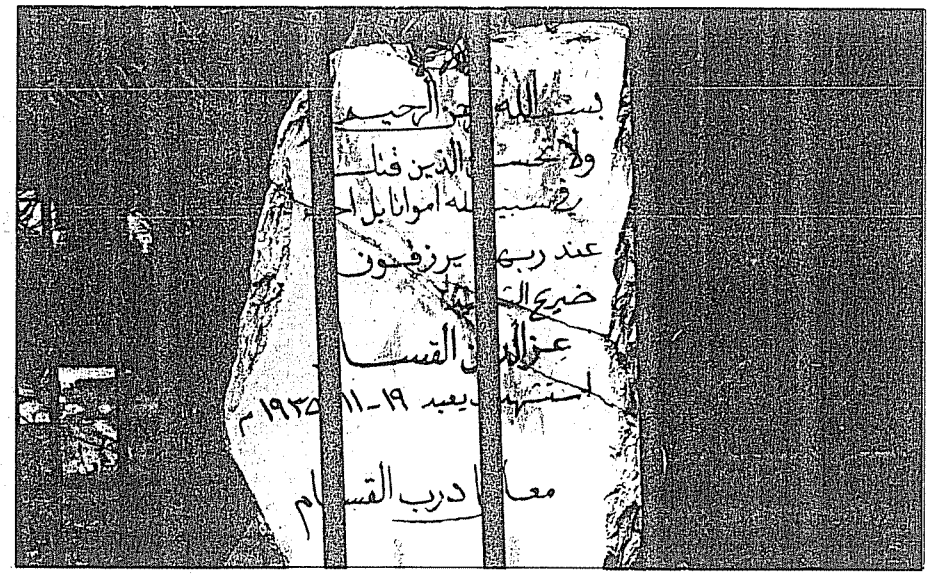

صورة تمثل ضريح الشهيد المجاهد عز الدين القسام في مقبرة قرية بلد الشيح

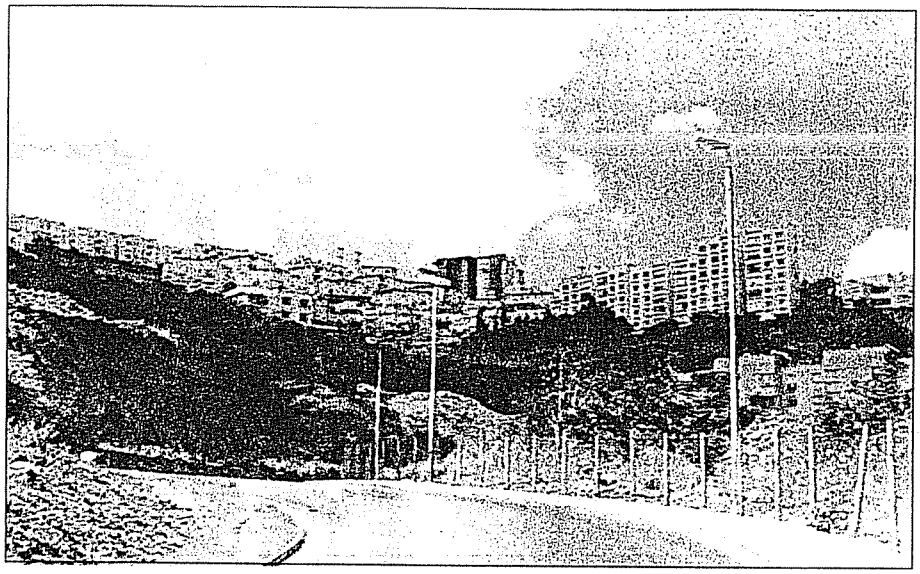

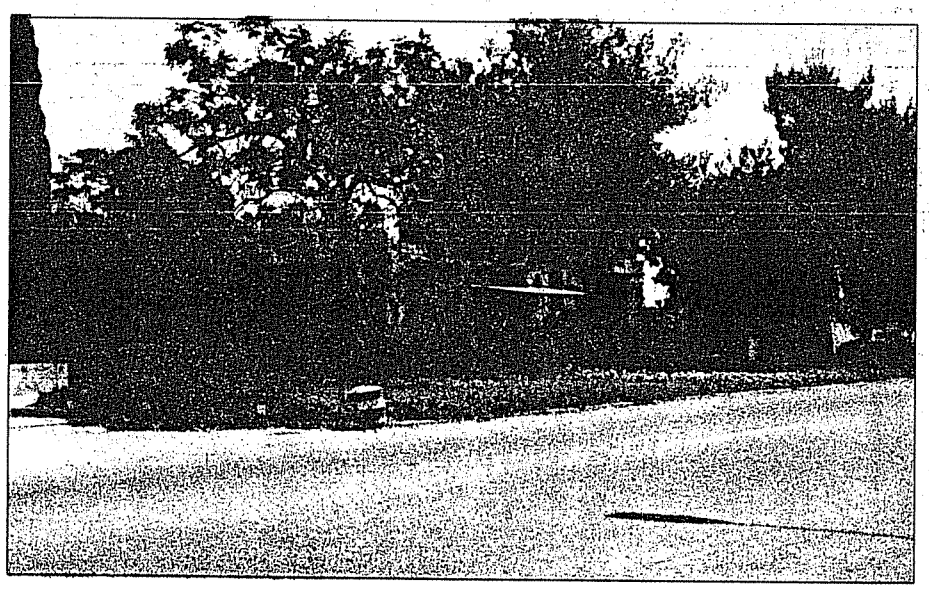

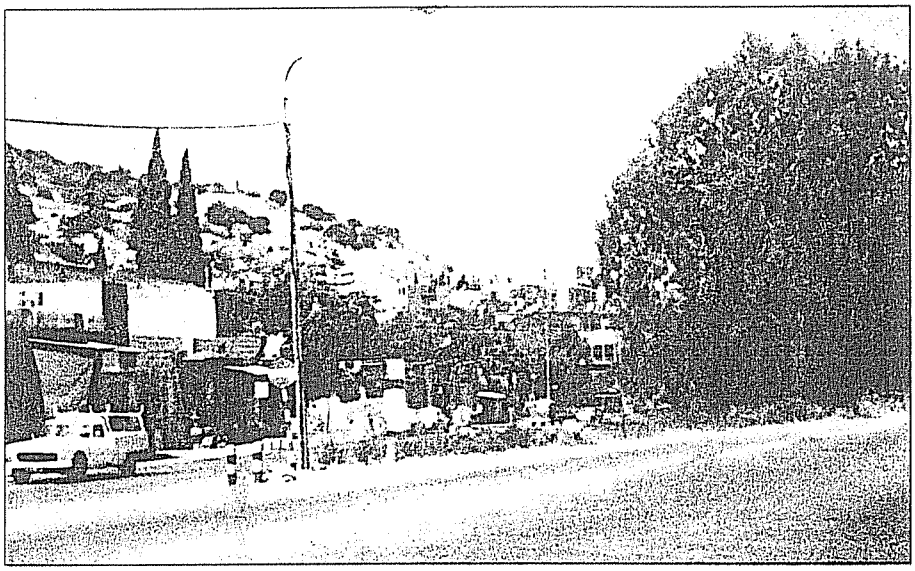

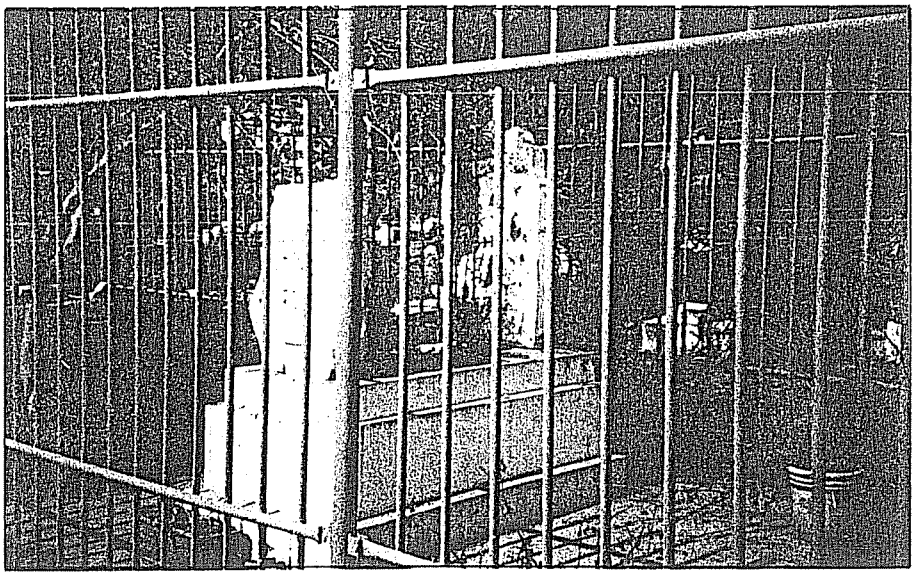

صورة تمثل ضريح الشهيد المجاهد عز الدين القسام

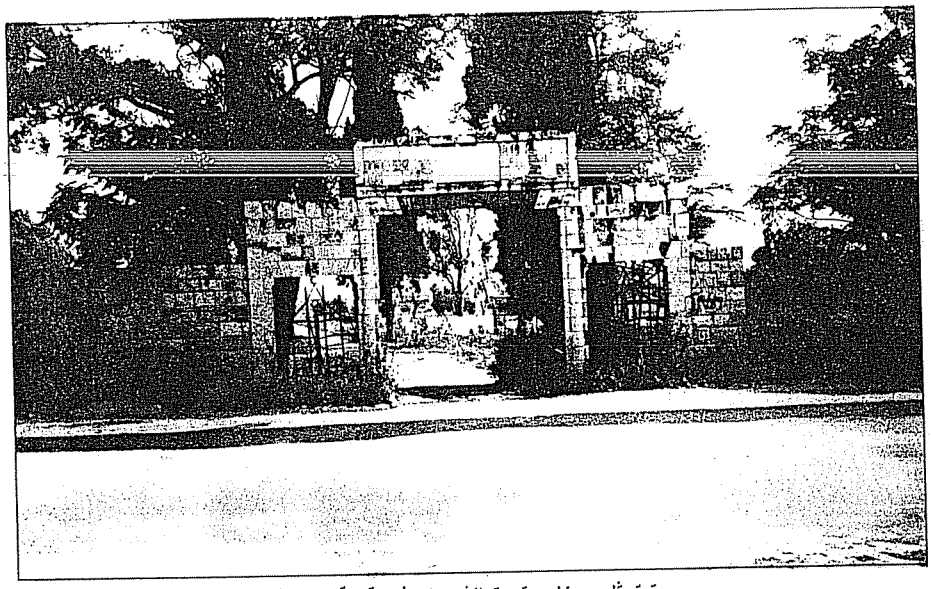

صورة تمثل مدخل مقبرة الشهداء في قرية بلد الشيخ

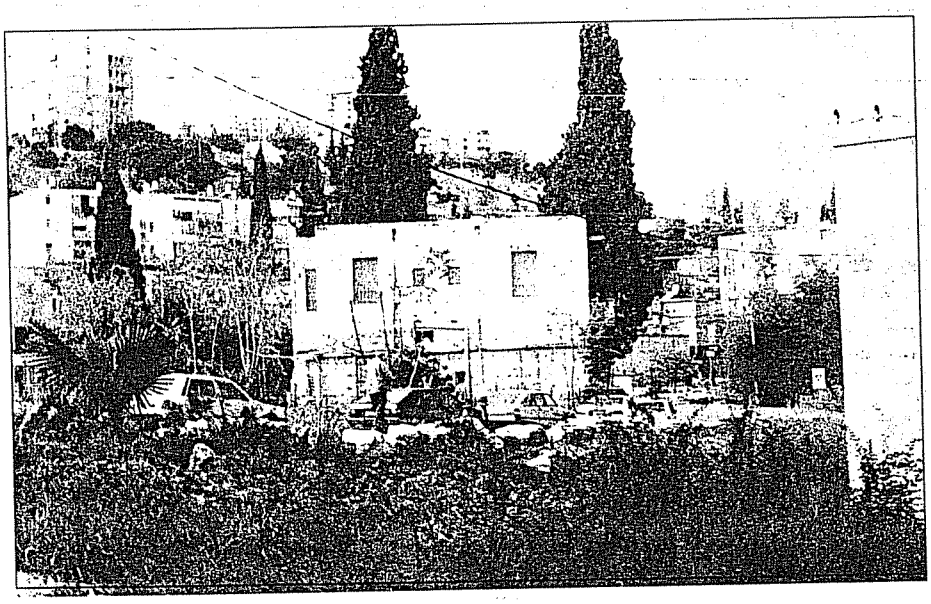

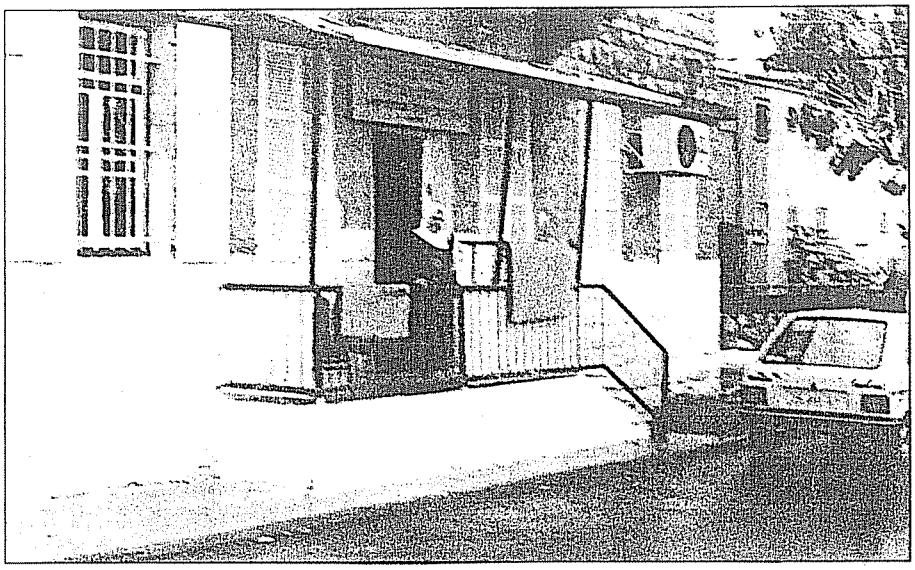

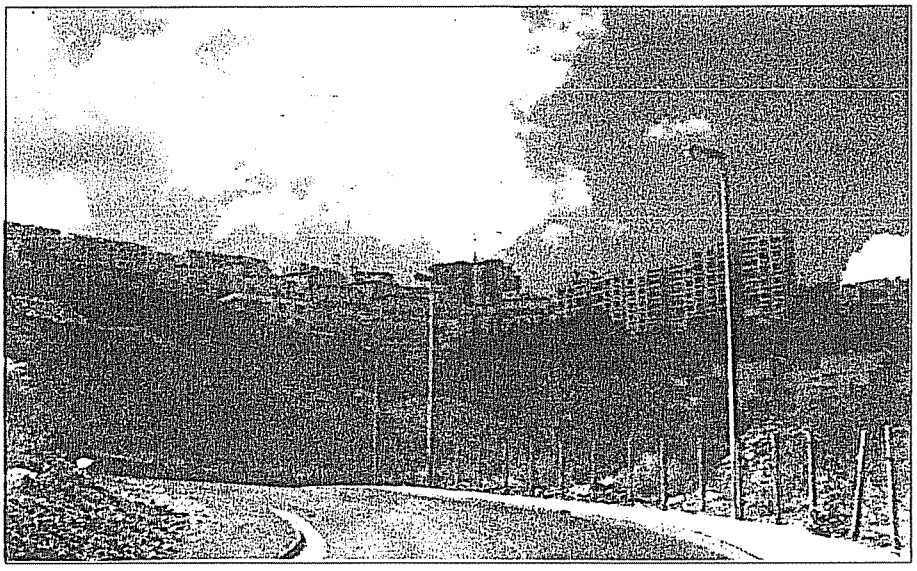

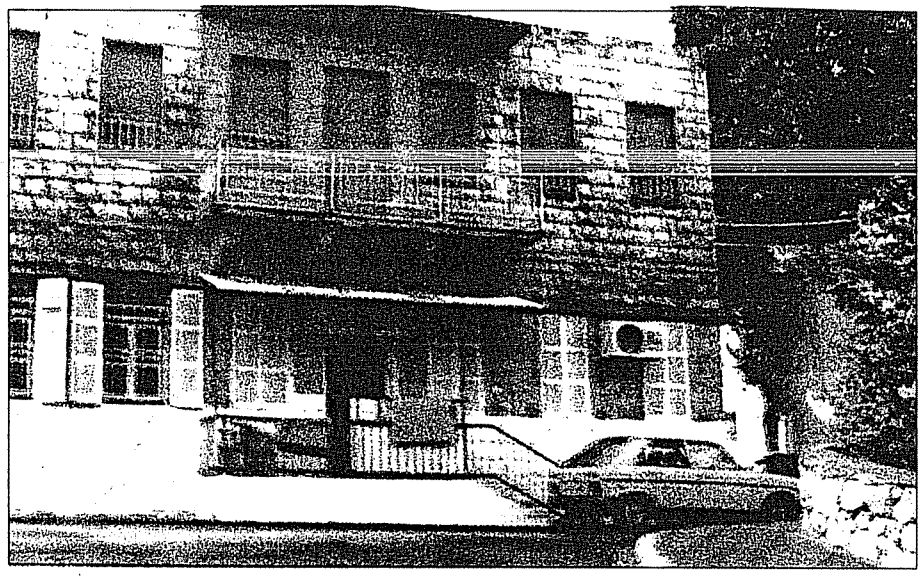

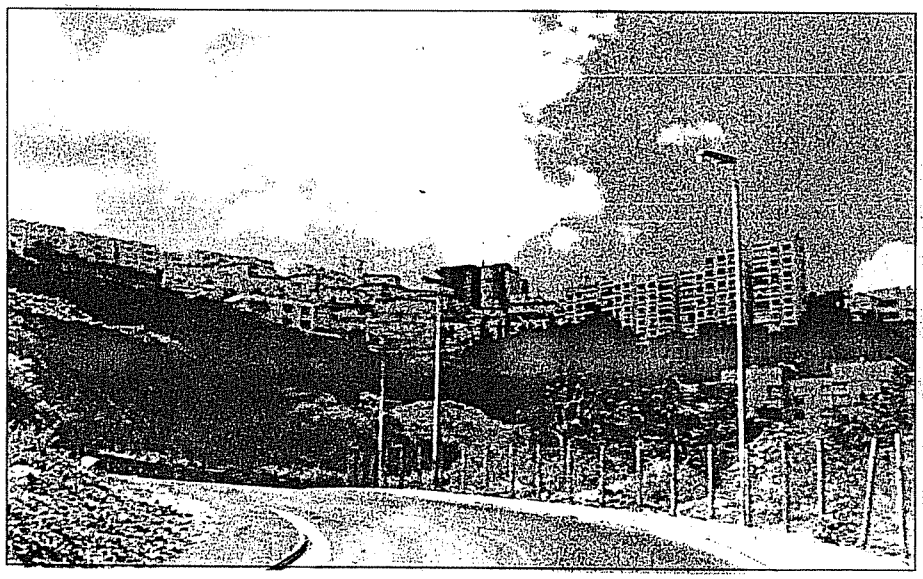

وقوفاً من اليمن إلى اليسار حسن السهلي، يونس السهلي، علي السهلي، أحمد السهلي، محمود السهلي، محمود صالح السهلي، محمد عبد أسعد السهلي، عبد الرحمن السهلي، وجلوساً من اليمين عمر السهلي، حسين السهلي، وأمامه عبد الرحيم الولي، محمد السهلي، الشيخ عبد الله السهلي، الشاب محمد الولي

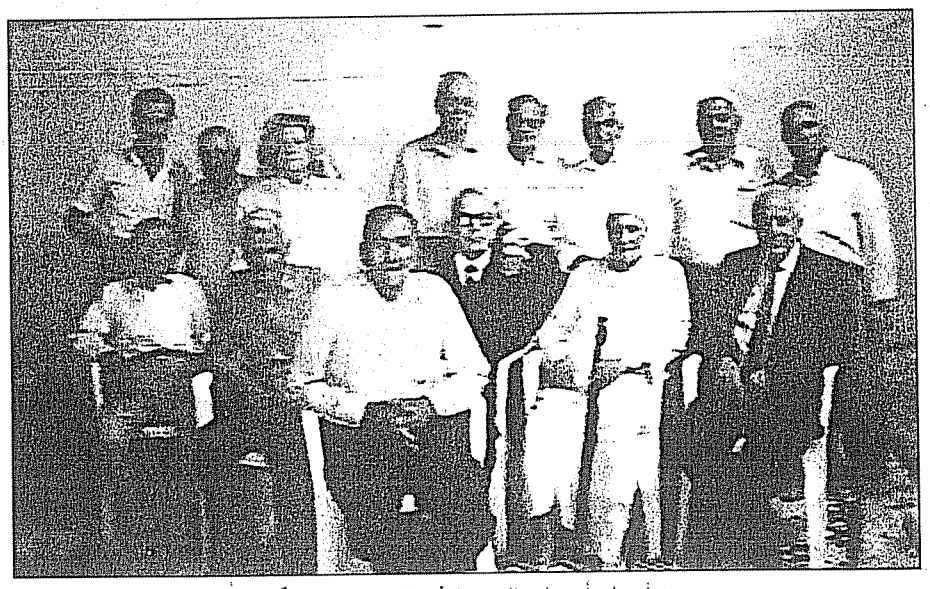

وردت أسماء أصحاب الصورة في الصورة السابقة تماماً

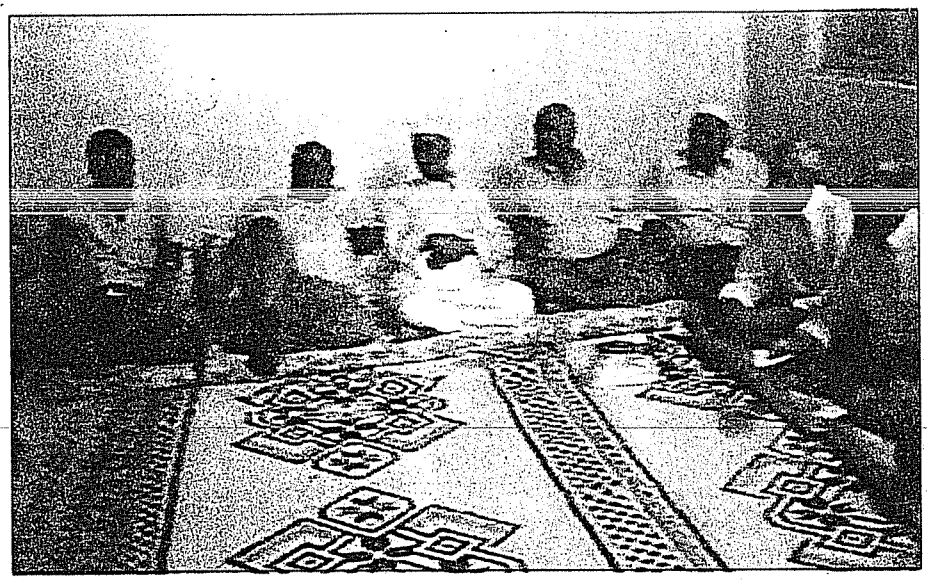

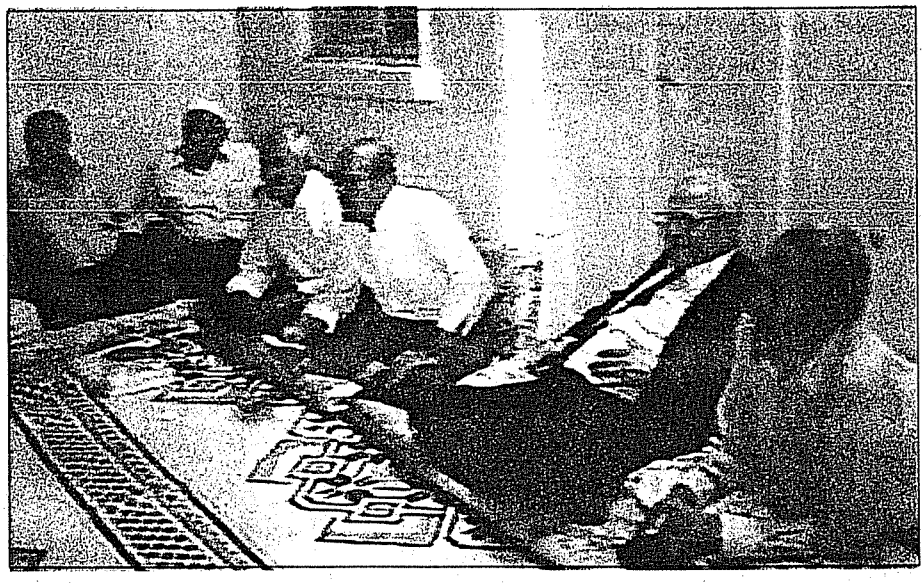

إضافة إلى بعض الأشخاص الذين وردت أسمائهم في الصور السابقة يظهر في الصورة معد البحث نبيل محمود السهلي، وإبنه أشرف إلى اليسار منه

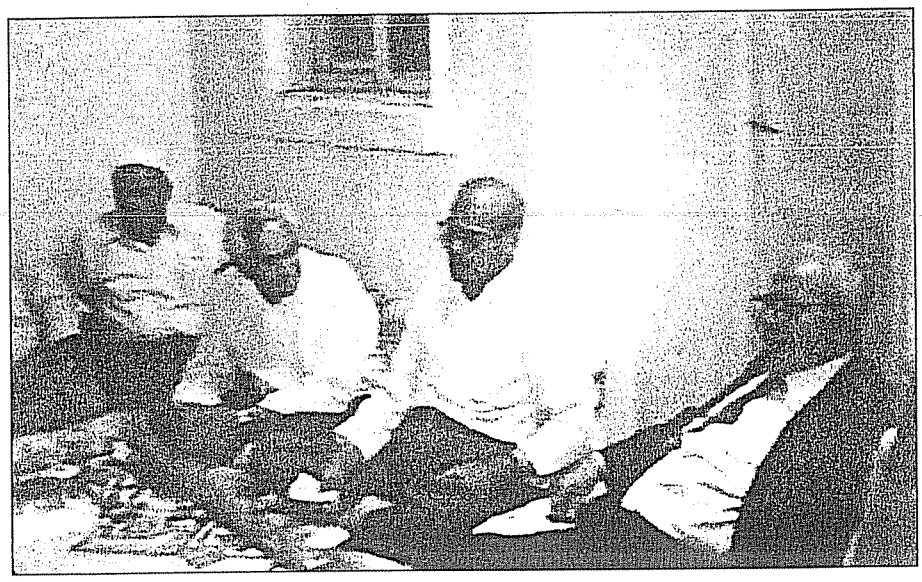

بعض كبار السن الذين حضروا المقابلة في الأول من حزيران / ٢٠٠٠ في منزل محمود صالح السهلي

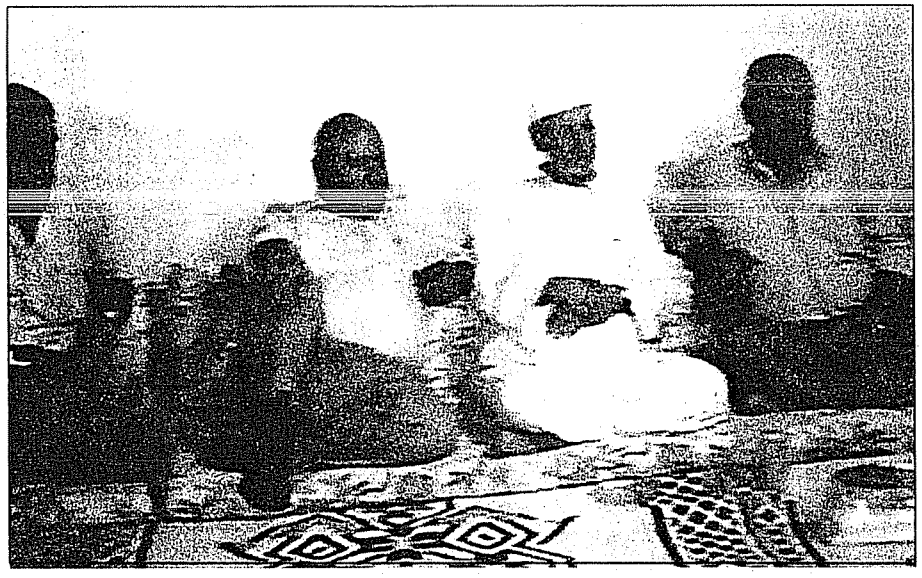

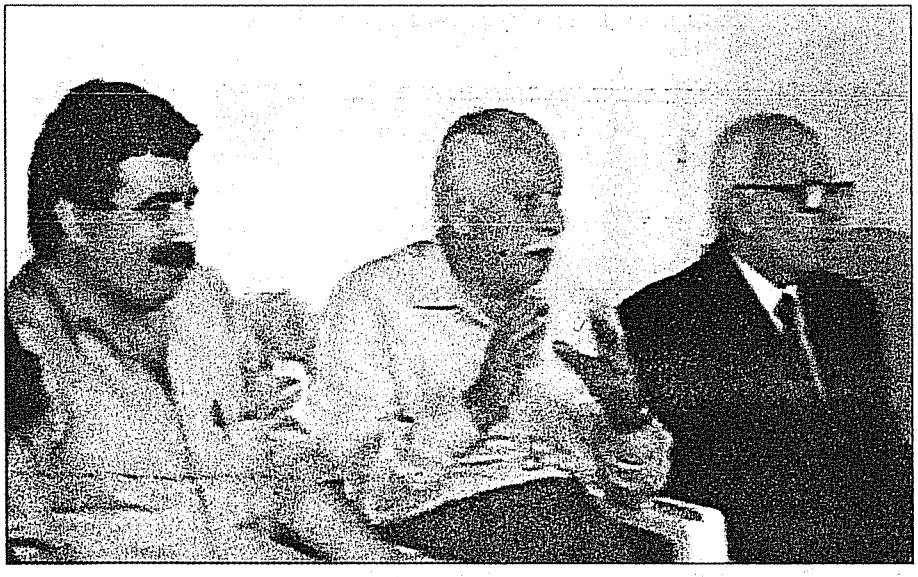

صورة للشيخ صالح السهلي وأولاده ، أُخِذت في منتصف الثلاثينات من القرن العشرين

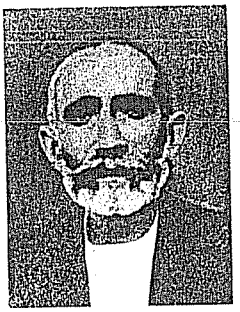

صالح أحمد السهلي، وهو جد الباحث نبيل السهلي وقد توفي في دمشق بعد نكبة الـ ٤٨ مباشرة

صورة أُخِذت عام ١٩٦٩ في منزل المرحوم كمال سليم السهلي ويظهر في الصورة من اليمين الشيخ عبيد السهلي (أبو محمد)، الحاج علي صالح السهلي (ابو أحمد)، محمود صالح السهلي (ابو ياسين)، وهو والد الباحث نبيل السهلي، وإلى اليسار يظهر المرحوم الحاج رضوان صالح السهلي.

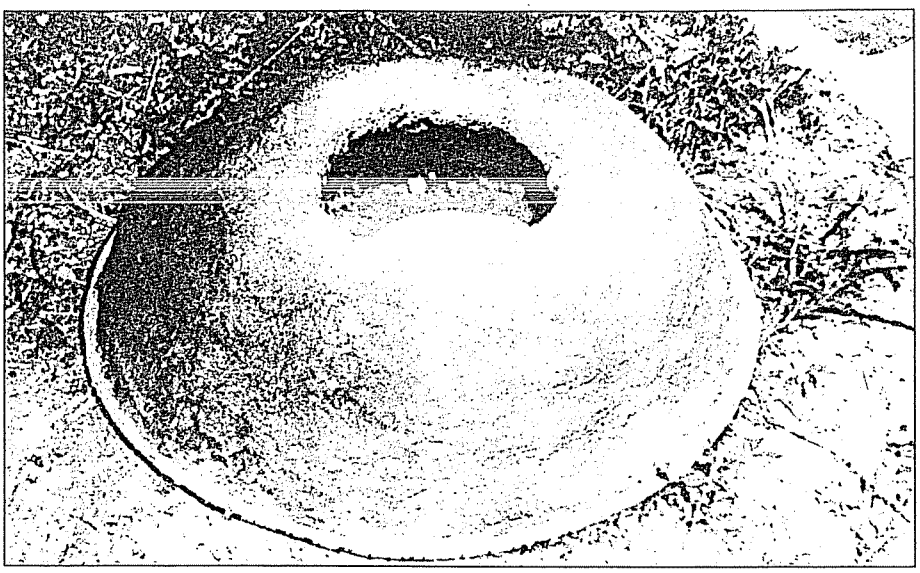

الطابون: هو الفرن القروي المستخدم من قبل ربة المنزل في قرية بلد الشيخ قبل عام ١٩٤٨

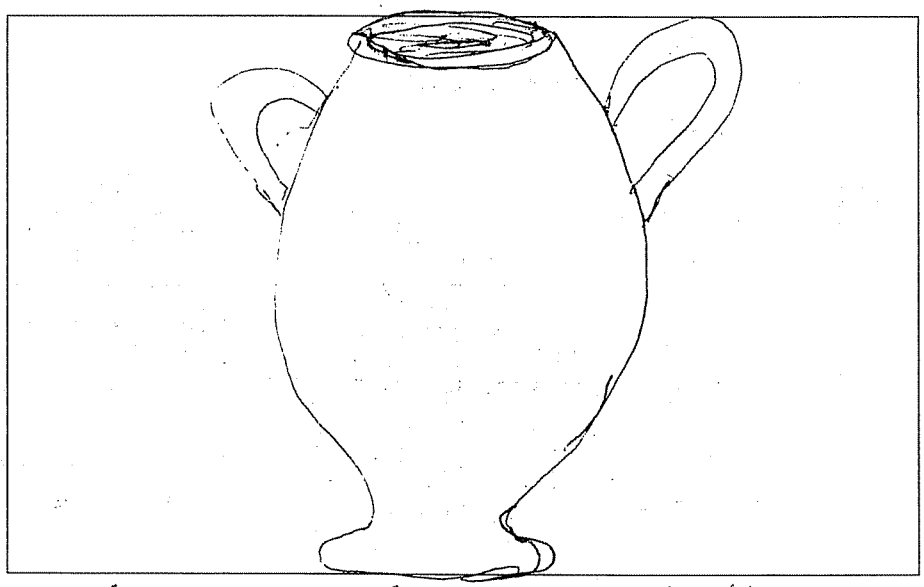

صورة تبين زلعة أو خابية وهي عبارة عن جرة مصنوعة من الفخار كبيرة الحجم، سميكة الجدار، تستخدم لحفظ المؤونة، من زيت أو زيتون أو حبوب، تتسع لـ(١٥) تنكة زيت

رسم محمود فوزي السهلي (ابو خلدون) مواليد ١٩٣٩ تاريخ الرسم ٢٠٠٠/١/١٤ في منزله

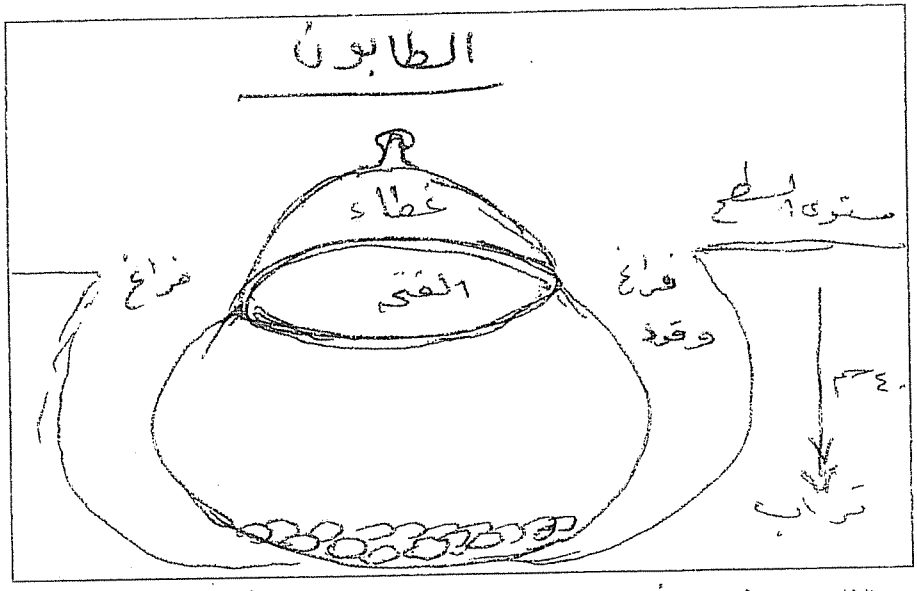

الطابون: ورد ذكره سابقاً، وقد رسمه الاستاذ محمود فوزي السهلي أيضاً وكان يصنع من الطين والتبن، وفي أسفله حجارة صغيرة لونها أسود في غالب الأحيان على شكل مكعبات تجلب من البحر وتدعى الرُضَف، حيث تحافظ على الحرارة وتمنع التصاق المحمر والخبز والكعك وغيرها من المعجنات

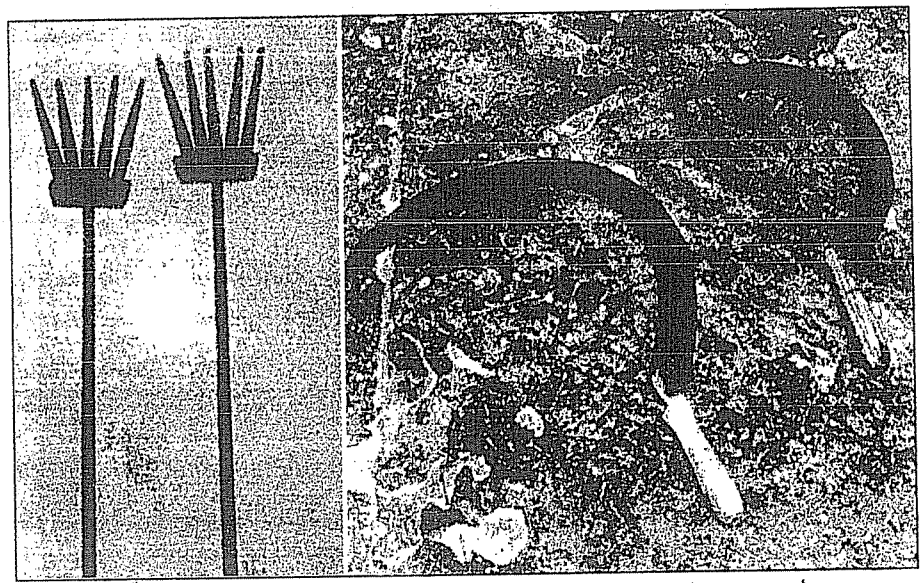

صورة تبين أدوات زراعية كانت تستخدم في قرية بلد الشيخ قبل عام ١٩٤٨، ويظهر من اليمين المنجل الذي تتم بواسطته عملية الحصاد، في حين تظهر إلى اليسار المذراة، وتصنع من الخشب، وتستعمل لعزق القش في الهواء، بعد درس القمح، لفصل القمح عن التبن وتخليصه من القش المسمى التبن

ملحق وثائق..

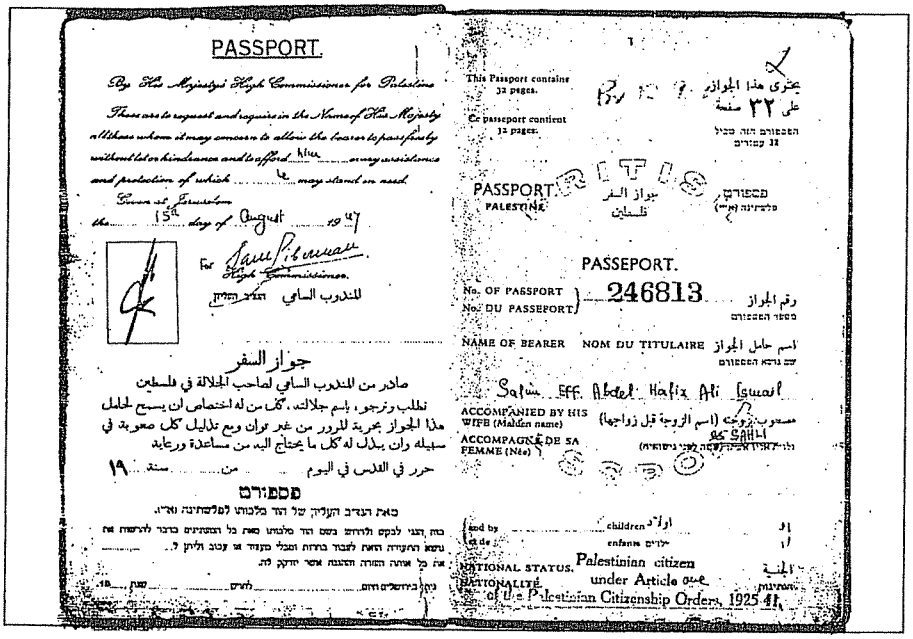

PASSPORT.

By His Majesty's High Commissioner for Palestine

These are to request and require in the Name of His Majesty all Whom it may concern to allow the bearer to pass freely without let or hindrance and to afford him all assistance and protection of which he may stand in need.

Given at Jerusalem the 15th day of August 1927

For Sam Pinnuan
High Commissioner.
للمندوب السامي

جواز السفر

صادر من المندوب السامي لصاحب الجلالة في فلسطين
نطلب وترجو، باسم جلالته، كل من له اختصاص ان يسمح لحامل هذا الجواز بحرية المرور من غير عوائق ومع تسهيلات كل مساعدة في سبيله وان يبذل له كل ما يحتاج اليه من مساعدة ورعاية

حرر في القدس في اليوم ..... من ..... سنة ١٩

פספורט

בשם הנציב העליון של הוד מלכותו למלכותנו ואיו.
כזה הבני לבקש ולדרוש בשם הוד מלכותו שאת כל הנתונים בזכר להרשות את
נעמא התעודה הזאת לעבור בחרות ומבלי מעצור או עכוב ולתת ל.
את כל אותה העזרה והשגחה אשר יזדקק לה.
נתן בירושלים ביום ..... לחדש ..... שנת 19

PASSPORT
PALESTINE

جواز السفر
فلسطين

פספורט
פלשתינה (ארץ־ישראל)

PASSEPORT.

No. OF PASSPORT
No. DU PASSEPORT } 246813 رقم الجواز מספר הפספורט

NAME OF BEARER NOM DU TITULAIRE اسم حامل الجواز שם נושא הפספורט

Salim Effi Abdel Hafiz Ali Ismail

ACCOMPANIED BY HIS WIFE (Maiden name) مصحوب زوجته (اسم الزوجة قبل زواجها)
ACCOMPAGNÉE DE SA FEMME (Née) נלוית־לאשתו (שם האשה לפני נשואיה)
SAHLI

and by ..... children اولاد וע
et de ..... enfants ילדים ו

NATIONAL STATUS. Palestinian citizen الجنسية
NATIONALITÉ under Article 60 of the Palestinian Citizenship Orders, 1925 לאומיות

صورة لجواز سفر فلسطيني للمرحوم سليم عبد الحفيظ السهلي مواليد ١٩٠٧ (الصفحة الأولى منه)

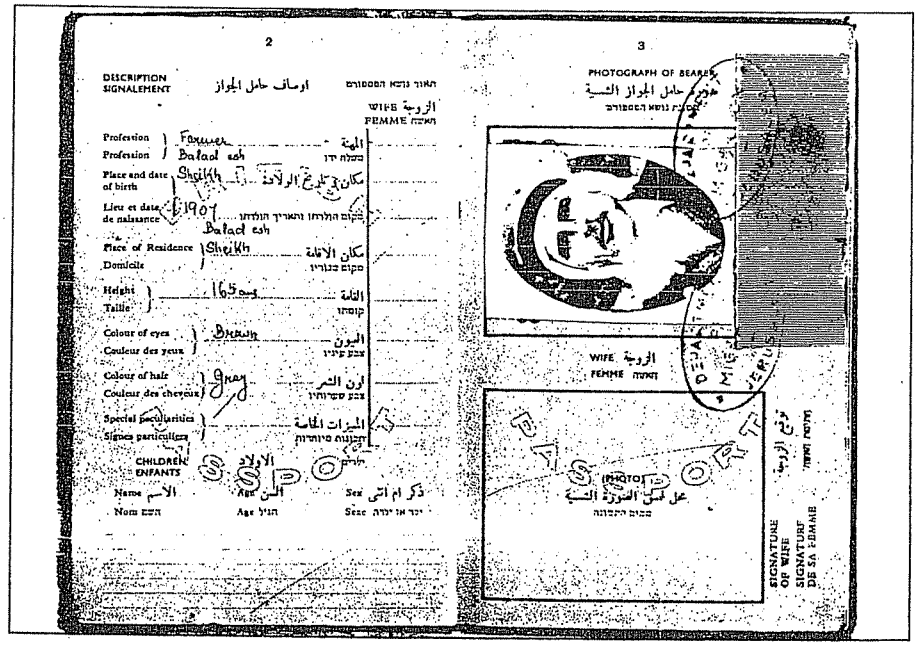

2

DESCRIPTION SIGNALEMENT اوصاف حامل الجواز תאור נושא הפספורט

WIFE الزوجة FEMME האשה

Profession } Farmer المهنة
Profession } Balad esh מלאכה ידו
Place and date of birth } Sheikh مكان وتاريخ الولادة
Lieu et date de naissance } 1907 מקום הולדתו והתאריך הולדתו
Balad esh
Place of Residence Domicile } Sheikh مكان الاقامة מקום מגורים
Height Taille } 165 cms القامة קומתו
Colour of eyes Couleur des yeux } Brown لون العين צבע עיניו
Colour of hair Couleur des cheveux } Grey لون الشعر צבע שערותיו
Special peculiarities Signes particuliers } لا شيء סימנים מיוחדים

CHILDREN ENFANTS الاولاد ילדים

Name الاسم Nom שם	Age السن Age גיל	Sex ذكر ام انثى Sexe זכר או נקבה

3

PHOTOGRAPH OF BEARER صورة حامل الجواز الشمسية תמונת נושא הפספורט

WIFE الزوجة FEMME האשה

PASSPORT

PHOTO على الصورة الشمسية תמונה

SIGNATURE OF WIFE SIGNATURE DE SA FEMME חתימת אשתו

صورة لجواز سفر فلسطيني للمرحوم سليم عبد الحفيظ السهلي مواليد ١٩٠٧ (الصفحة الثانية منه)

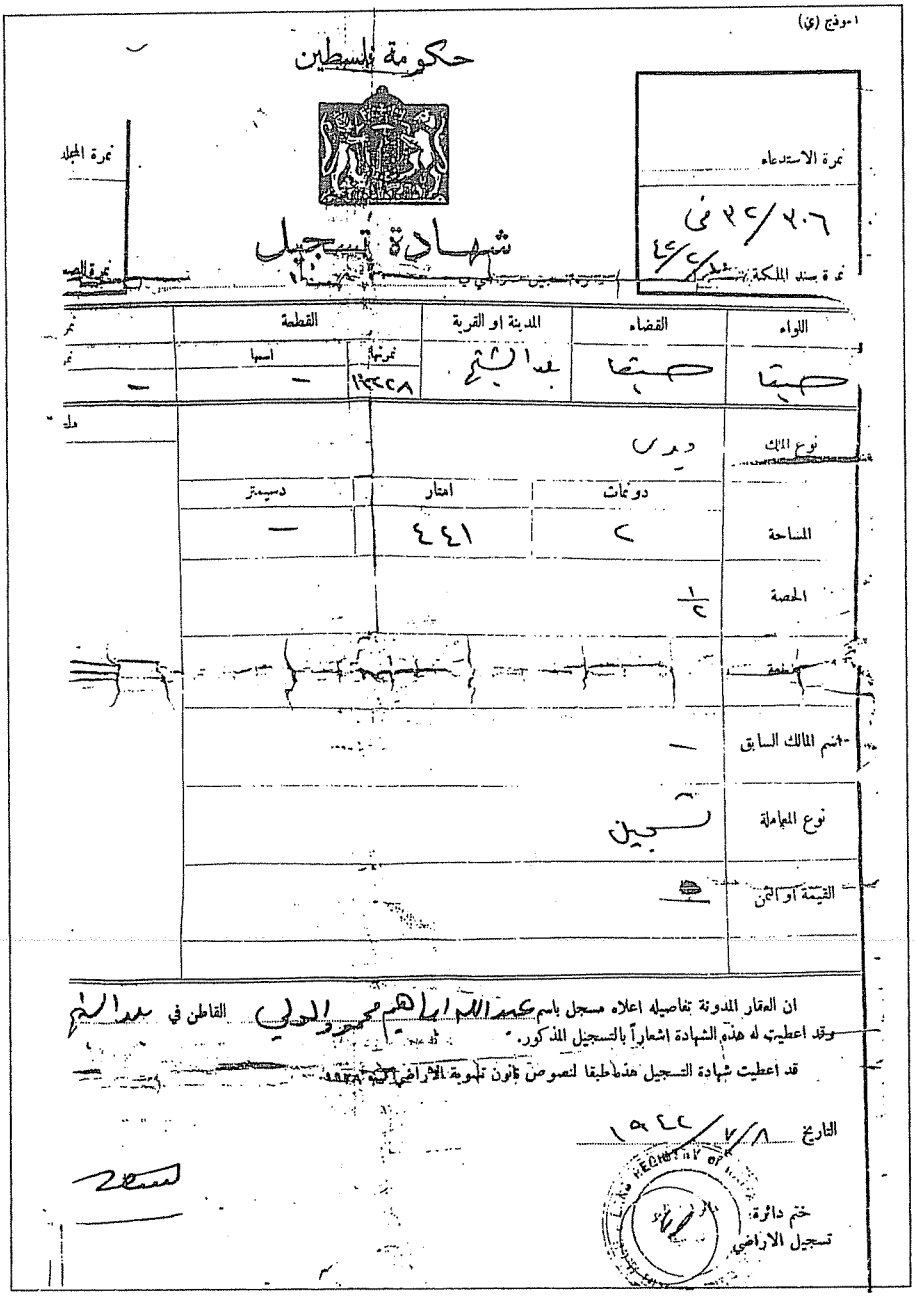

حكومة فلسطين

شهادة تسجيل

نمرة الاستدعاء

نمرة المجلد

نمرة سند الملكية

اللواء	القضاء	المدينة او القرية	القطعة		
			نمرتها	اسمها	نمرتها
حيفا	حيفا	بلد الشيخ	١٣٢٢٨	—	—

نوع الملك	ديري		
المساحة	دونمات	امتار	دسيمتر
	٢	٤٤١	—
الحصة	١/٢		
اسم المالك السابق	—		
نوع المعاملة	تسجيل		
القيمة او الثمن	—		

ان العقار المدونة تفاصيله اعلاه مسجل باسم عبد الله ابراهيم الولي القاطن في بلد الشيخ
وقد اعطيت له هذه الشهادة اشعاراً بالتسجيل المذكور.
قد اعطيت شهادة التسجيل هذه طبقا لنصوص قانون تسوية الاراضي

التاريخ ٨/٧/١٩٤٢

ختم دائرة تسجيل الاراضي

نموذج كوشان أراضي يظهر بعض ملكيات المرحوم عبد الله ابراهيم الولي صادر في ١٩٤٢/٧/٨

قرية بلد الشيخ / ملحق بالوثائق

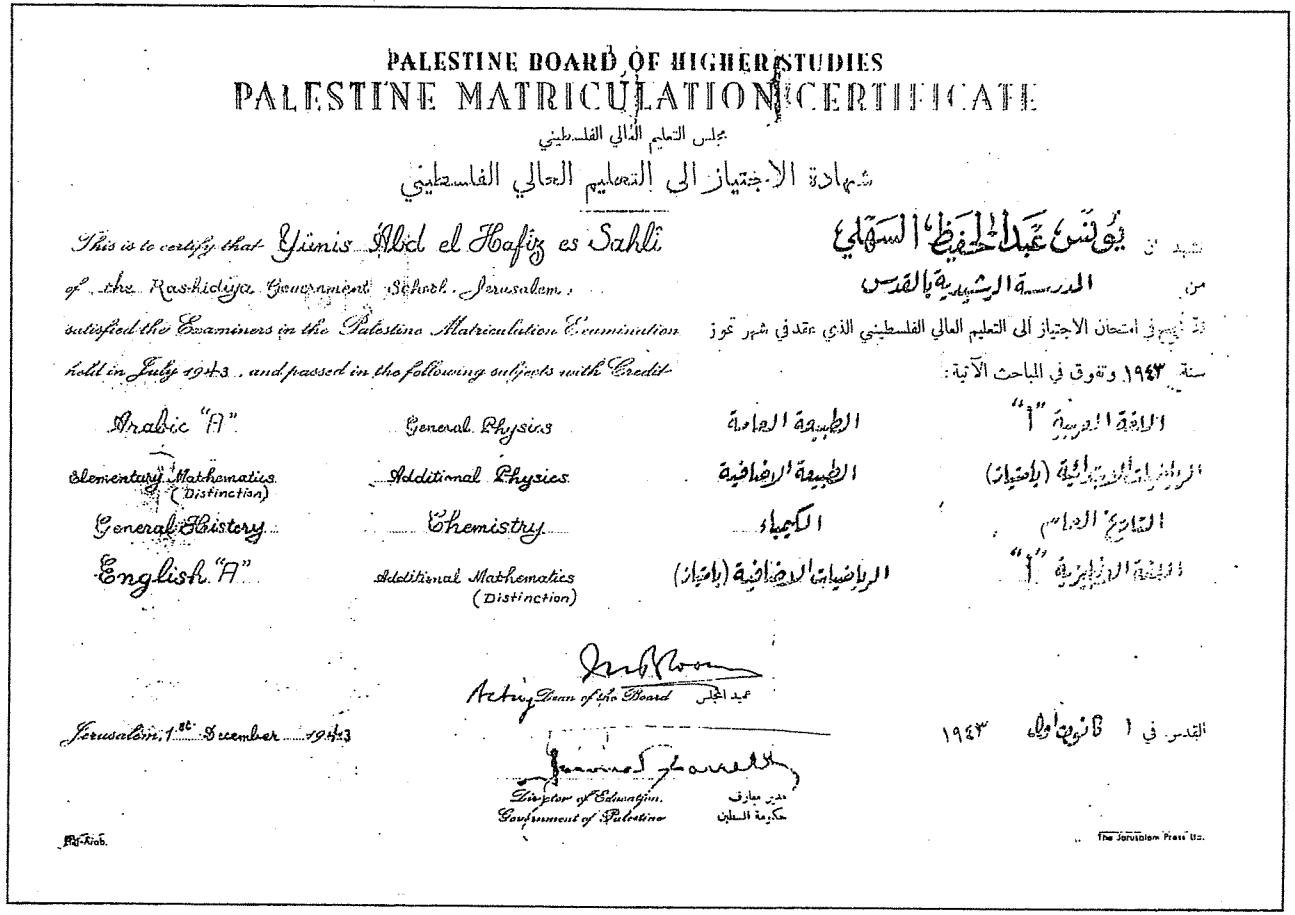

PALESTINE BOARD OF HIGHER STUDIES

PALESTINE MATRICULATION CERTIFICATE

مجلس التعليم العالي الفلسطيني

شهادة الاجتياز الى التعليم العالي الفلسطيني

This is to certify that Yunis Abd el Hafiz es Sahli of the Rashidiya Government School, Jerusalem, satisfied the Examiners in the Palestine Matriculation Examination held in July 1943, and passed in the following subjects with Credit

شهد بان يونس عبد الحفيظ السهلي من المدرسة الرشيدية بالقدس قد فاز في امتحان الاجتياز الى التعليم العالي الفلسطيني الذي عقد في شهر تموز سنة ١٩٤٣ وتفوق في المباحث الآتية:

Arabic "A"	General Physics	اللغة العربية "أ"	الطبيعة العامة
Elementary Mathematics (Distinction)	Additional Physics	الرياضيات الابتدائية (بامتياز)	الطبيعة الرياضية
General History	Chemistry	التاريخ العام	الكيمياء
English "A"	Additional Mathematics (Distinction)	اللغة الانجليزية "أ"	الرياضيات الرياضية (بامتياز)

Acting Dean of the Board — عميد المجلس

Jerusalem, 1st December 1943 — القدس في ١ كانون اول ١٩٤٣

Director of Education, Government of Palestine — مدير معارف حكومة فلسطين

Rif-Arab.

The Jerusalem Press Ltd.

نموذج شهادة للاجتياز إلى التعليم العالي الفلسطيني حصل عليها الأستاذ يونس عبد الحفيظ السهلي في عام ١٩٤٣، من القدس

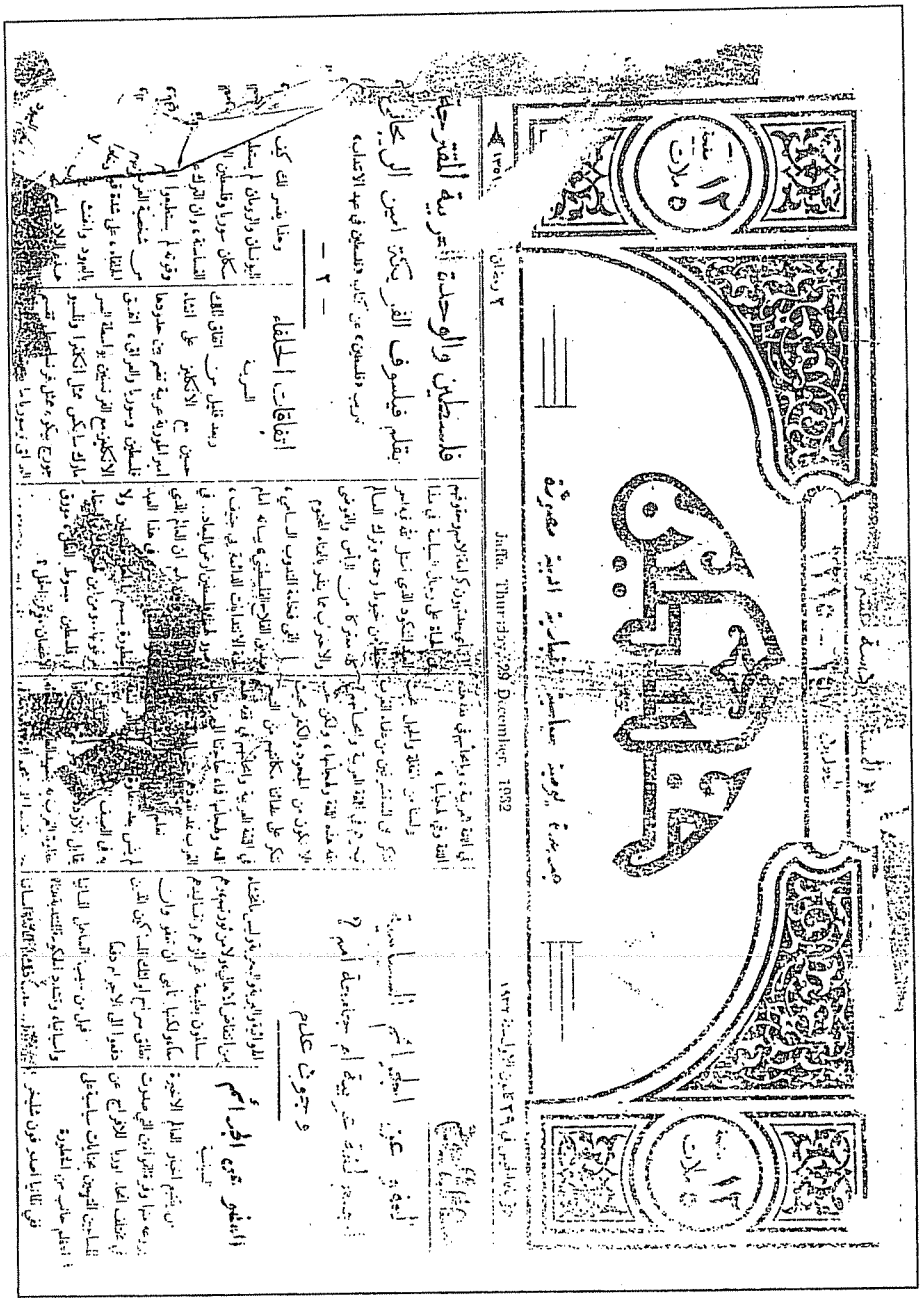

صورة لغلاف صحيفة فلسطين، (أحد أعدادها الصادرة في يافا يوم الخميس ٢٩ كانون الأول سنة ١٩٣٢م، اتلموافق للثاني من رمضان ١٣٥١ هـ، وكان بعض أهالي قرية بلد الشيخ يقرأونها أحياناً

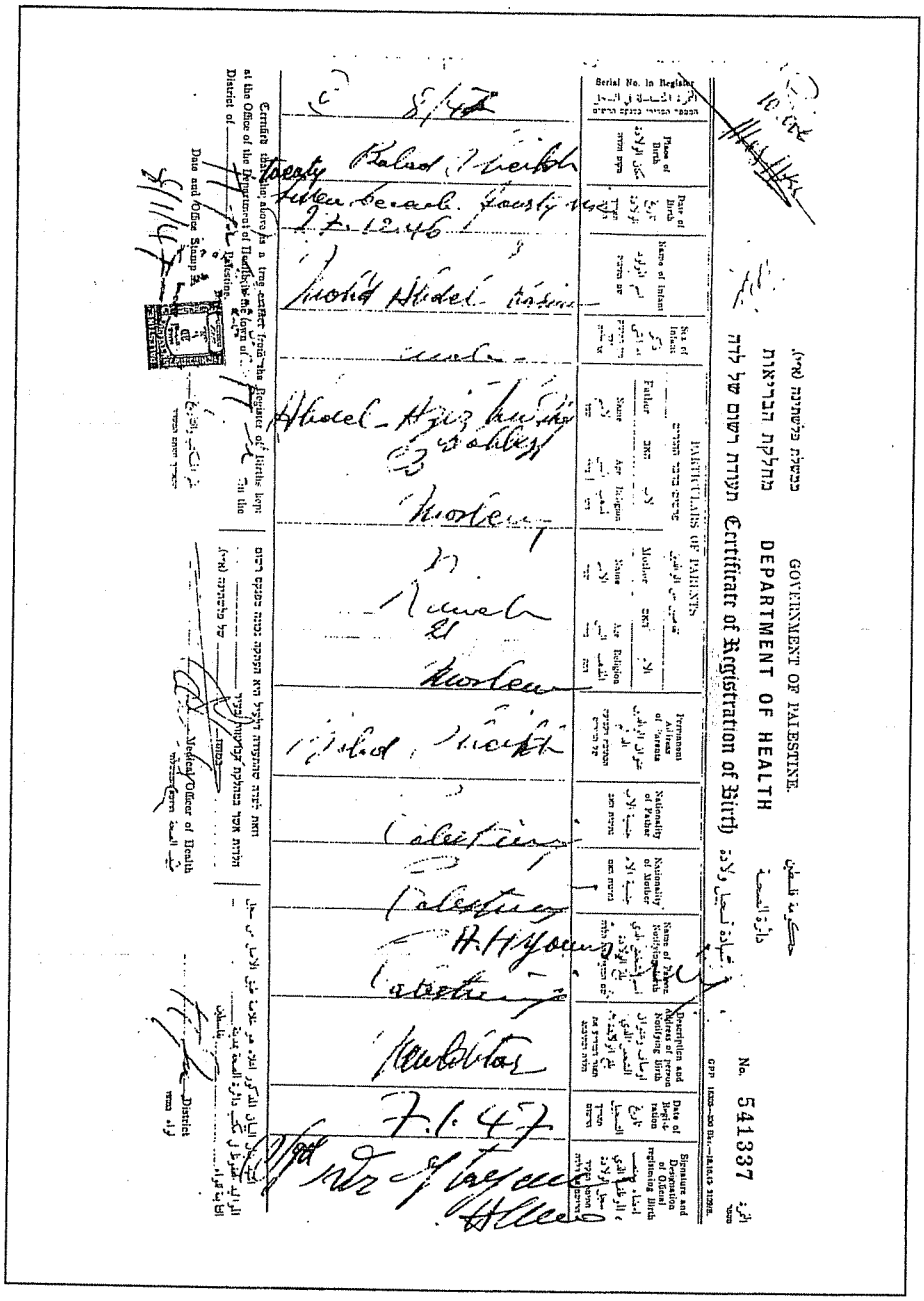

وثيقة تبين شهادة تسجيل ولادة لأحد مواليد قرية بلد الشيخ في ١٩٤٦/١٢/٢٧

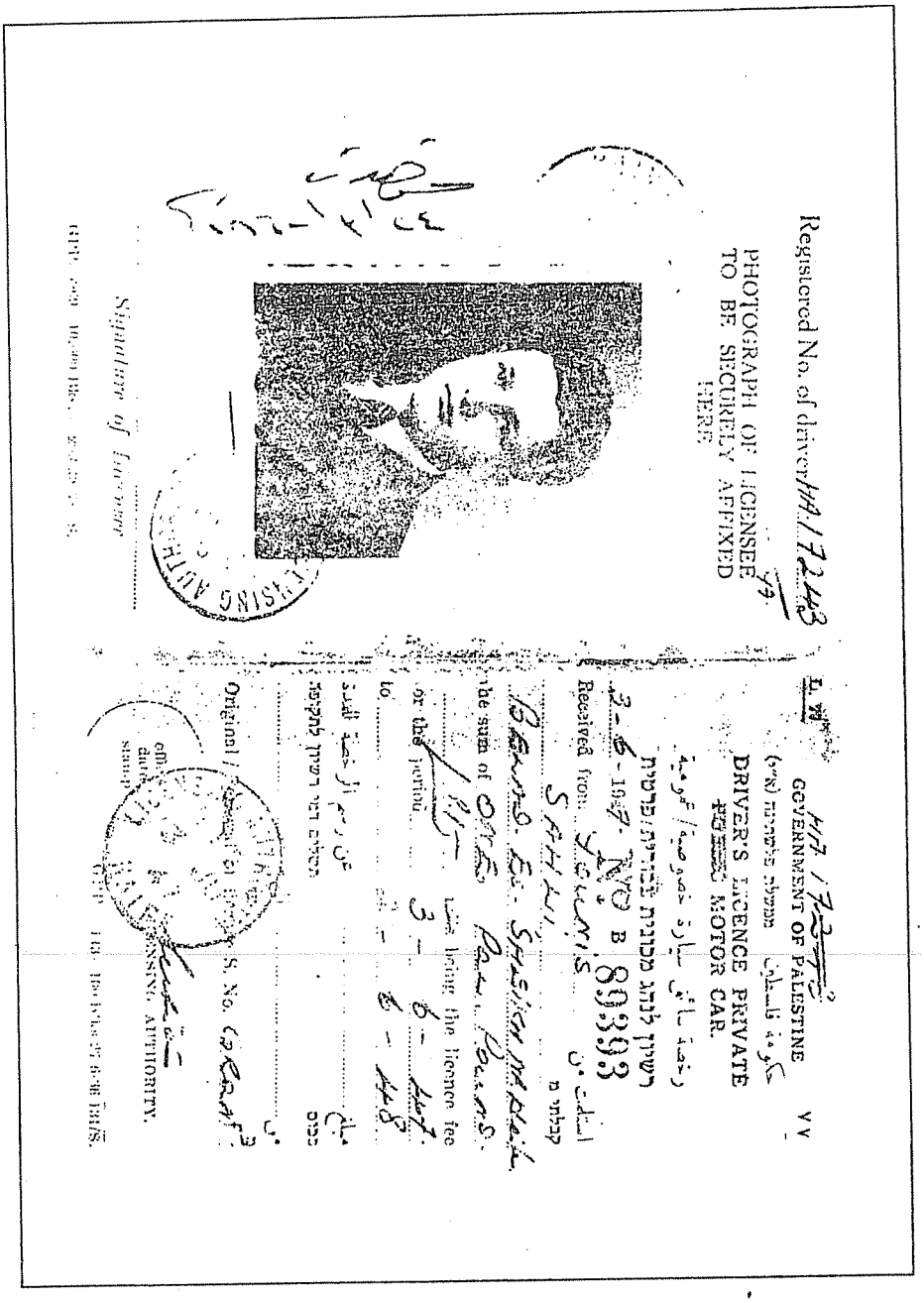

نموذج يبين رخصة قيادة سيارة (خصوصية وعمومية)

حصل عليها يونس عبد الحفيظ السهلي بتاريخ ١٩٤٧/٦/٣ وصالحة لغاية ١٩٤٨/٦/٢

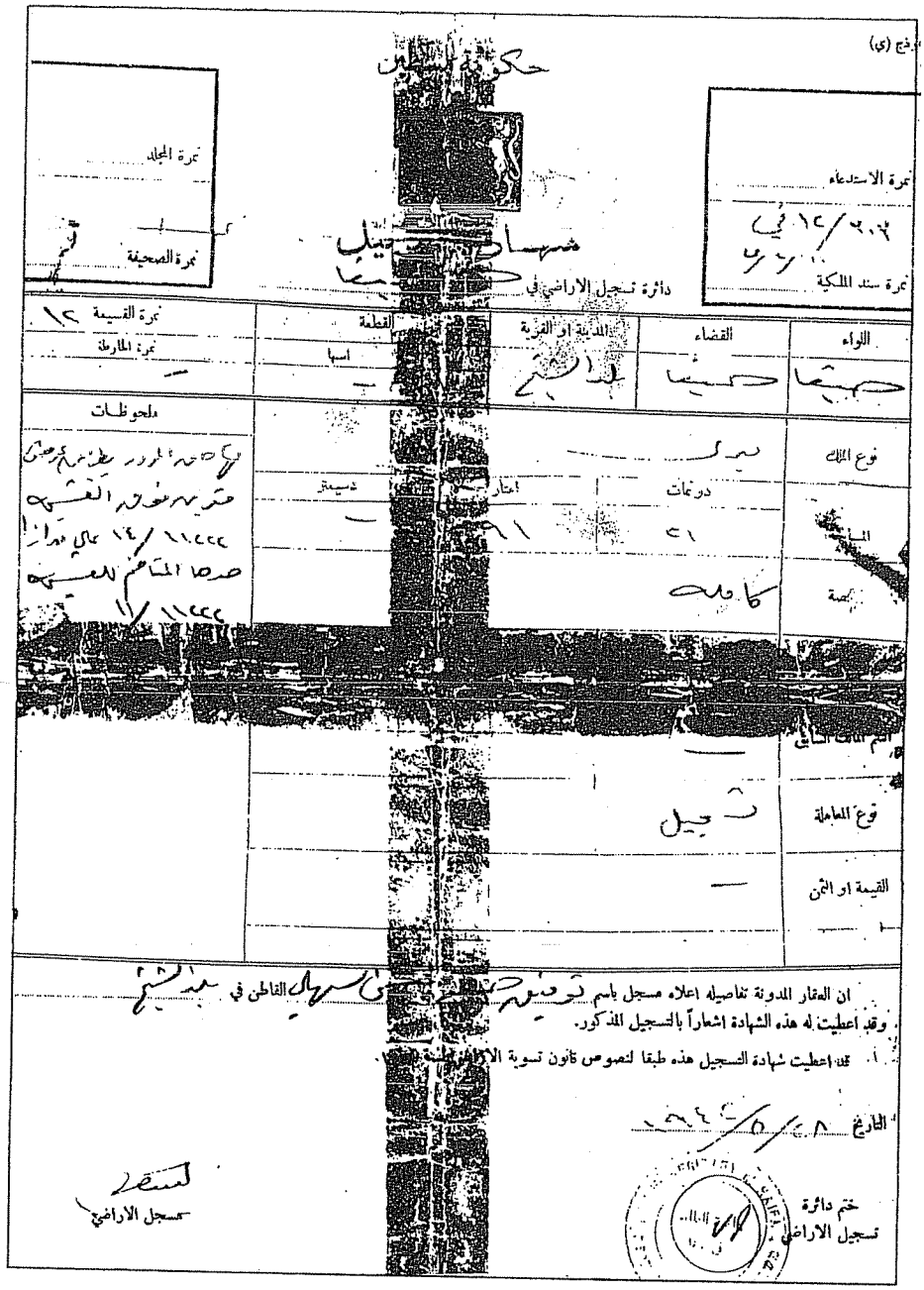

نموذج (ى)

حكومة فلسطين

نمرة الاستدعاء

نمرة المجلد

نمرة الصحيفة

دائرة تسجيل الاراضي في

نمرة سند الملكية

اللواء	القضاء	المدينة او القرية	القطعة	نمرة القسيمة
			اسمها	نمرة المارطة

نوع الملك			
	دونمات	امتار	مسيقف

الملحوظات

نوع المعاملة

القيمة او الثمن

ان العقار المدونة تفاصيله اعلاه مسجل باسم

وقد اعطيت له هذه الشهادة اشعاراً بالتسجيل المذكور.

قد اعطيت شهادة التسجيل هذه طبقا لنصوص قانون تسوية الاراضي

التاريخ

ختم دائرة تسجيل الاراضي

مسجل الاراضي

وثيقة تبين نموذج من كوشان ملكية أراضي للمرحوم توفيق حسين عيسى السهلي

وهو جد الباحث نبيل السهلي

خارطة فلسطين يظهر فيها موقع قرية بلد الشيخ إلى الجنوب الشرقي من مدينة حيفا

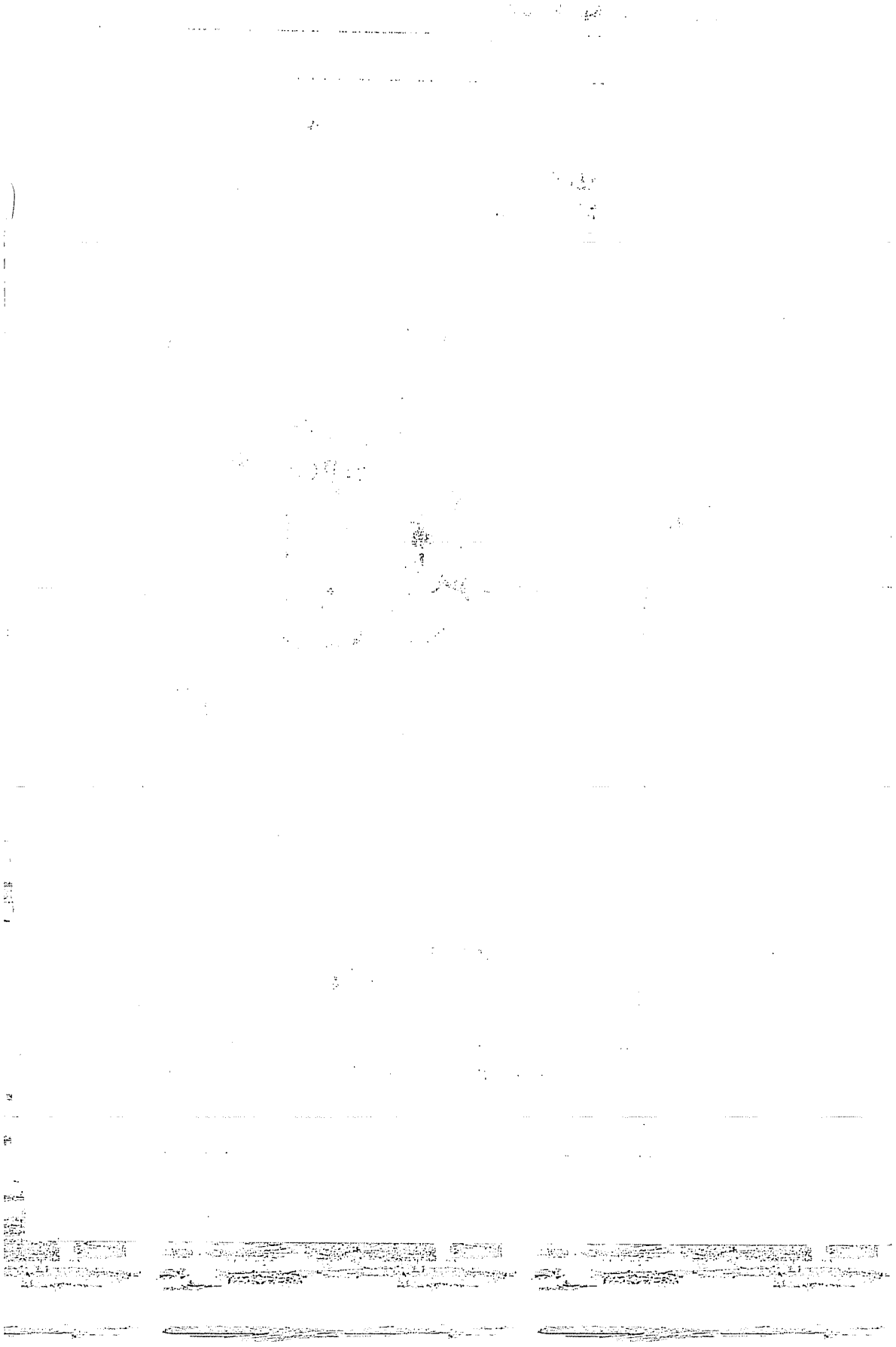

المصادر والمراجع

(١) وليد الخالدي، كي لا ننسى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ١٩٩٧ ص٧٧.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) انظر الموسوعة الفلسطينية ـ القسم العام ـ المجلد الأول ١٩٨٤ ص٤١٣ـ ٤١٤.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) تم استطلاع ذاكرة بعض أهالي القرية من كبار السن في منزل محمود صالح السهلي في مخيم اليرموك بتاريخ الخميس ٢٠٠٠/٦/١.
(٦) الموسوعة الفلسطينية ـ المجلد الأول، مصدر سبق ذكره ص٤١٣ـ ٤١٤.
(٧) استطلاع ذاكرة بعض أهالي القرية مصدر سبق ذكره.
(٨) مروان الماضي، قرية اجزم، الحمامة البيضاء، دار الأهالي، دمشق، ١٩٩٤ ص٣٣ـ ٣٤.
(٩) المصدر نفسه، نفس الصفة.
(١٠) من أوراق الأستاذ محمود فوزي السهلي (١٩٣٨) حول قرية بلد الشيخ، تاريخها وإرثها الحضاري.
(١١) وليد الخالدي، كي لا ننسى مصدر سابق ص٧٨.
(١٢) الموسوعة الفلسطينية، القسم العام المجلد العام الرابع، ١٩٨٤ ص٤٣٢، حيث تعتبر الحلويات المذكورة من أهم الحلويات المتناولة في قرى قضاء حيفا والقرى الفلسطينية الأخرى.
(١٣) مروان الماضي، قرية اجزم، مصدر سابق ص١٤٥.
(١٤) جميع المعطيات حول المدارس والمقاهي والجوامع في القرية تم الحصول عليها من كبار السن خلال استطلاع ذاكرتهم يوم الخميس ٢٠٠٠/٦/١ في مخيم اليرموك.
(١٥) تم الاعتماد في هذا الفصل، الحياة الاجتماعية في قرية بلد الشيخ، على اللقاءات التي تمت مع كبار السن من أهل القرية وفق الجدولين الملحقين.
(١٦) كافة المصطلحات والتعبيرات الشعبية الفلسطينية المستخدمة، تم اعتمادها من الموسوعة التي تحمل نفس الاسم والتي أعدها الباحث محمد توفيق السهلي. وصدرت عن مركز جنين للدراسات الاستراتيجية في عمان، الأردن، في بداية عام ٢٠٠١م.
(١٧) للتوسع انظر، نور الدين مصالحة، مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيوني ١٩٨٢ ـ ١٩٤٨، مؤسسة الدراسات الفلسطينية وبالنسبة لخطة دالت، فإنها وضعت من قبل قيادة الهاغاناه لإدارة عمليات ما سمي بحرب الاستقلال، وضعت في أذار عام ١٩٤٨، ونفذت

في الشهر الذي تلاه.

(١٨) يعقوب إلياب، ترجمة غازي الصعدي، جرائم الأرغون وليحي، دار الجليل، عمان، الأردن ص٣٦- ٢٤١.

(١٩) انظر معطيات الخارطة التي قام برسمها الدكتور سلمان أبو ستة وتم نشرها في مركز العدد الفلسطيني في لندن في أب ١٩٩٨.

(٢٠) نبيل السهلي، المجازر الإسرائيلية المنظمة (١٩٤٧ ـ ٢٠٠٠)، صحيفة السفير اللبنانية، صفحة الرأي، ٢٠٠٠/٢/٢١.

(٢١) رواية كبار السن من قرية بلد الشيخ من خلال لقائهم في يوم الخميس ٢٠٠٠/٦/١ في منزل محمود صالح السهلي في مخيم اليرموك.

(٢٢) للتوسع في الرواية الصهيونية عن مجزرة قرية بلد الشيخ، انظر وليد الخالدي، القرى المدمرة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مصدر سبق ذكره ص٧٨.

(٢٣) الموسوعة الفلسطينية ـ القسم العام ـ المجلد الأول ١٩٨٤ ص٤١٣- ٤١٤.

(٢٤) دافيد بن غوريون، يوميات الحرب، ترجمة سمير جبور، مراجعة وتقديم صبري جريس، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، أيلول ١٩٩٣ ص٩٥، حيث يذكر في مذكراته أنه تم إعلان الاستقلال وإنشاء إسرائيل في يوم الجمعة ١٩٤٨/٥/١٤ في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم المذكور.

(٢٥) للتوسع في الرواية المذكورة عن سقوط القرية، انظر محمد نمر الخطيب، من أثر النكبة، كتاب صادر من دمشق، شارع خالد بن الوليد دون تاريخ ص٣٠٩- ٣١٢.

(٢٦) المصدر نفسه، نفس الصفحات.

(٢٧) وليد الخالدي، القرى المدمرة، مؤسسة الدراسات مصدر سبق ذكره ص٧٨، ٨٠.

(٢٨) للتوسع في الخطط الصهيونية لاحتلال فلسطين وطرد أهلها، ومن بينها حيفا وقرية بلد الشيخ، انظر نور الدين المصالحة، طرد الفلسطينيين، مفهوم الترانسفير في الفكر والتخطيط الصهيونيين (١٨٨٢ ـ ١٩٤٨)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت كانون الثاني ١٩٩٢ ص١٧٤ ـ ١٧٦.

(٢٩) نبيل السهلي، تداخل القومي والوطني في تاريخ القسام، صعب شطبه من الذاكرة الفلسطينية، صحيفة الشرق الأوسط، لندن. الأحد ١٩٩٧/٢/١٦.

(٣٠) نبيل السهلي، أراضي فلسطين في دائرة الضوء، صحيفة تشرين السورية يوم الخميس ٢٠٠١/٣/٢٩، كما نشرت المادة نفسها قبل تعديلها في صحيفة السفير يوم الأرض المصادف في ٢٠٠٠/٣/٣٠.

الفهرس

الإهداء ٤

مقدمة ٥

التسمية والموقع الجغرافي ٧

التشكل الاجتماعي في قرية بلد الشيخ في ذاكرة أهلها ١١

الحياة الاقتصادية ١٥

الحياة الاجتماعية ١٧

في المصطلحات والتعابير الشعبية المستخدمة ٢٥

أفكار صهيونية حول المجازر والترحيل ٣٥

مجزرة قرية بلد الشيخ ٣٩

ذاكرة أهالي القرية حول الترحيل ٤٣

وصف المعركة ووقع المجزرة في ذاكرة أهالي القرية ٤٧

المؤرخ الفلسطيني جميل عرفات ومجزرة بلد الشيخ ٥١

سقوط بلد الشيخ بعد حيفا والرحيل الأخير ٥٥

أهالي بلد الشيخ في الشتات ٦١

عز الدين القسام وقرية بلد الشيخ وفلسطين ٦٣

أراضي فلسطين في دائرة الضوء ٦٧

الخاتمة ٧٣

ملحق صور ٨١

الفهرس ١٠٩